العدد ٣ من السنة الأولى — مارس سنة ١٩٤٠

الشؤون الاجتماعية والتعاون

مجلة شهرية تصدرها وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة
قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

مدير التحرير المسئول : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس العـــدد

صفحة

وجوب التعاون بين الشعب والحكومة — عبد الرحمن عزام بك... ... ... ٣
شبان هذا الجيل — اسماعيل صدقي باشا ٧
أثر اللغة في الشؤون الاجتماعية — محمد توفيق رفعت باشا ١٤
رجل الإدارة — علي جمال الدين باشا ١٧
الأضحية والقرابين — الدكتور علي عبد الواحد وافي... ... ... ٢١
مباهج الحياة — الأستاذ سيد قطب ٢٦
مشاهدات وملاحظات — الدكتور أحمد ضيف ٣٥
أثر المرأة في توجيه الرجل — الآنسة سيرين القلهاوي ٣٩
الفضائل القومية — الأستاذ أحمد رمزي بك ٤٣
في سبيل حماية النسل — الدكتور عبد العزيز فهمي بك ٤٦
التعاون ميدان جديد للمرأة — الدكتور ابراهيم رشاد بك ٥١
تعدد الزوجات والطلاق — الأستاذ محمد المهياوي ٥٥
الأم قدوة لبناتها — الأستاذ سلامه موسى... ... ... ٦٠
الزواج حاجة نفسية — الأستاذ عبد الرحمن صدقي ٦٣
هل أنت زوجة صالحة... ... ... ٦٦
من ذكريات القرية — الآنسة بنت الشاطىء ٦٧
البيت ليس فندقا ولا مطعما ٧٢
دعامتان قويتان — الدكتور محمد أبو طالبة ٧٥
فتلندا... ... ... ٧٨
وقتهم من تبر فهل وقتنا من تراب — الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم ٨١
نفسية العامل — م . هـ ٨٥
أقل وأكثر ٩٠
قواعد النجاح ٩١
الى المسئولين عن الفلاح ٩٢
نهوات العمال ٩٦
هجرة الأعيان من الريف ٩٩
سايرى ويسمع في الطريق ١٠٣
النشاط الاجتماعي للطالب المصري ١٠٧
الموظف والجمهور ١١٠
مدارس الخدمة الاجتماعية بمصر... ... ... ١١٢
أسئلة وأجوبة ١١٧

وجوب التعاون

بين الشعب والحكومة فى الإصلاح الاجتماعى

لحضرة صاحب المعالى عبد الرحمن عزام بك وزير الشؤون الاجتماعية

كلما فكرنا فى الإصلاح فكرنا فى الحكومة وألقينا عليها كل الأعباء . ووزير الشؤون الاجتماعية يقول لنا إنه اذا كان على الحكومة واجب فان على الشعب واجبات وإن من ضروب الإصلاح ما يجب أن يسبق اليه مجهود الفرد مجهود الحكومة »

المحرر

اعتدنا فى مصر أن نحيل على الحكومة جميع الواجبات وأن نحمل كاهلها جميع الأعباء ، فهى المطالبة بنشر التعليم وبإنشاء الملاجىء والمستشفيات وبترقية الزراعة وخلق الصناعات وبإيجاد العمل للمتعطلين وتوظيف الشبان المتعلمين ، وبغير ذلك مما يجب أن يعتبر بعضه أو كله من واجبات الأمة قبل أن يكون من واجبات الحكومة، أو على الأقل من واجبات الأمة والحكومة متعاونتين .

ولكن تاريخ الحضارة الحديثة يدلنا على أن الإصلاحات الاجتماعية إنما قامت بها الشعوب فى أوربا وأمريكا قبل أن تتولاها الحكومات ، بل يدلنا على أن عمل الحكومات فى تلك الإصلاحات لم يتجاوز حدود الرعاية والرقابة والتوجيه .

وفى مصر مشروعات للإصلاح جديدة تعتزم الحكومة القيام بتحقيقها وتعنى المصالح والإدارات المختلفة بإعداد برامجها وتقدير النفقات لها فى الحدود التى تسمح بها موارد الدولة. ولكن الذى يخفى علينا هو أن مجهود الشعب يجب أن يؤازر مجهودات الحكومة . لأن من تلك الإصلاحات ما يولد عقيما ويظل عقيما إذا هو لقى إعراضا من الشعب فلا يمكن تنفيذه بأى قوة ولا بأى قانون حتى يقبل الشعب عليه ويتطوع ويعاون على تنفيذه .

فى بلادنا من العادات والتقاليد مايستحق المكافحة لمصلحة الاقتصاد والصحة والاجتماع، وما لايستطيع نفوذ الحكومة أن يمتد إليه أو يؤثر فيه . ولنضرب لذلك مثلا أعراسنا ومآتمنا .

نحن نسرف فى نفقات الزواج وإقامة العرس إسرافا قل أن نجد له شبيها عند غيرنا حتى لقد يخجل أهل العروسين أحيانا من الاقتصاد فى تلك النفقات إذا اضطرتهم إليه ظروفهم المالية فيعتذرون بمراعاة حالة الحداد عن مد الموائد ونصب السرادقات و إقامة حفلات الغناء ودعوة المئات من المعارف والأصدقاء ، وقد تكون حالة الحداد غير موجودة فى الحقيقة ولكنها عذر يلجأون إليه ليبرروا رغبتهم فى الاقتصاد كأن الاقتصاد عيب يخجل منه أو يعتذر عنه .

والأصل فى مقدم الصداق أنه معاونة من الخاطب لأهل مخطوبته على تأثيث بيت الزوجية ، وتجهيز المخطوبة ببعض الحلى والثياب . والأصل فى مؤجله أنه نوع من التأمين المالى تدخره الزوجة لليوم الذى تنفصل فيه عن زوجها . فأين هذا الأصل القائم على فكرة اجتماعية سامية مما صار عليه الصداق فى هذه الأيام ؟

وتأثيث بيت الزوجية أصبح موضوع مباراة ومباهاة وتفاخر بين الأسر حتى ليحمّل الوالد نفسه من النفقات مالا تطيقه ماليته فيعمد إلى الاستدانة ثم يعانى مايترتب على الاستدانة من سيئ النتائج ووخيم العواقب .

ولقد نجم من الأخذ بسنة الإسراف فى نفقات الزواج أن صار الشبان يعرضون عن التزوج أو يطيلون فى التردد قبل الإقدام عليه ، وأن صار الوالدان يسوّفان فى تزويج بناتهما ويرجئانه أو يتحاشيانه فتضيع فرص وتتغير مصائر لعلة كان من الخير أن لا تضيع وأن لا تتغير .

وإسرافنا فى الأعراس يقارنه إسراف فى المآتم . فإن السرادق الفخم يقام الليالى المتواليات ويدعى إليه أغلى المقرئين وتنفق فى ذلك كله نفقات يعلم الله أن منفقيها فى حاجة إليها ، ولكنه حب المظهر الكاذب هو الذى يحملنا عليها ويفرضها علينا فرضا . وانه لمما يستوجب الخجل حقا أن ترى المآتم فى الريف تستحيل الى مناحات صاخبة تجرى فيها أعجب البدع والخرافات وتمثل أقبح المناظر والشناعات مما لايرضى به عقل ولا عرف ولا دين .

فما الذى تستطيعه الحكومة حيال هذه العادات السيئة والتقاليد المزرية ، وما حيلة التشريعات والقوانين إذا لم تجد من الشعب نفسه استعدادا للإقلاع عن عادات وتقاليد ثبت ضررها ووضح خطارها ، ومن الطبقات المستنيرة فى الأمة مؤازرة على محوها والقضاء

عليها ؟ بل كيف يطلب من الحكومة أن تتدخل فى هذه الشؤون وهى لا تملك إزاءها إلا النصيحة الفاضلة والموعظة الحسنة ؟

وهناك عادات أخرى نراها متغلغلة فى الأوساط الفقيرة والمتوسطة الحال ؛ كالتمسح بالأضرحة وكنس المساجد وإقامة حفلات الزار والإيمان بفعل التمائم وأثر العين الحاسدة واللجوء الى السحر والاستشفاء بالكتابات والأحجبة . وهذه العادات لا يجدى فيها التشريع ولا يمكن أن تقع تحت طائلة القانون . وما دامت قائمة تجد الرضى والاقبال من بعض طبقات الشعب والإغضاء والتسامح من الطبقيات الأخرى ؛ فإن الحكومة مهما بذلت من جهود وسنت من تشريعات ستظل عاجزة عن مقاومتها بل القضاء عليها .

على أنه إذا كان من صنوف الإصلاح الاجتماعى ماتقضى الحضارة أن يلقى واجب القيام به على الحكومة ، كحماية العمال و إعانة الأمومة و رعاية الطفولة والتأمين من التعطل والإصابة والمرض والشيخوخة و إيجاد المسكن الصحى للعامل والفلاح ، فإنه يجب أن نذكر أن كثيرا من هذه الإصلاحات يحتاج الى نفقات كثيرة لا تتحملها ولم تتحملها حتى اليوم إلا الدول الغنية بمعاونة الشعب مع أنه يتوافر لديها من موارد المال مالا ينوء بشتى الأعباء . وموارد الدولة المصرية تقصر عن تقديم المال اللازم للإصلاح الاجتماعى فى مختلف ميادينه إلا اذا تعطلت مشروعات أخرى لايجوز تعطيلها ولا انتقاص أهميتها لحياة البلاد . ولكن هذا القصور يجب بداهة أن لايحول بيننا و بين اتخاذ الاحتياطات هنا وهناك لمنع بعض الأضرار وتلافى بعض النقائص وتوفير الصحة والمعاش وأسباب الهناء النسبى للعامل والفلاح . ومن ثم فقد تعين على الشعب واجب مؤازرة الحكومة ومعاونتها على القيام بواجبها فى هذا السبيل .

إن فى مصر كثيرين من الأغنياء وأصحاب الأرض يملكون المئات والألوف من الفدادين وهم قادرون على أن ينشئوا العزبة الصالحة و يحسنوا بعض الشئ من حالة القرية التى يعيشون فيها . وفى مصر كثيرون من أصحاب المصانع يستطيعون أن يوفروا لعالمهم أسباب الراحة والطمأنينة والصحة ، لا بمراعاة الشروط الصحية فى مصانعهم فقط بل بإيجاد النظام الذى يكفل للعامل عيشه وقت مرضه وانقطاعه عن العمل وعندما تحل به الشيخوخة التى تكرهه على هذا الانقطاع . ولا يفوتنا أن كثيرين من كبار رجال الصناعة فى أوربا وأمريكا قد ابتكروا ألوانا من الإصلاح فى المعمل والمصنع وانواعا من التأمينات لم يكن لحكوماتهم فيها يد ولا نصيب . ولعل من المعمرين من سمعوا عن البيوت التى بناها لورد ليفرهولم لعماله فى مصانع الصابون المعروف باسم « سانلايت » وعن مستعمرات العمال التى أنشأها مستر فورد لعمال السيارات الشهيرة بهذا الاسم وعن التأمينات التى أوجدها هذان الرجلان للعمال قبل ان تفكر فيها الحكومة .

وفى مصر حركة يجب أن تجد من الأهالى كل معاونة وتأييد بل يجب أن تقوم على عاتق الأهالى وحدهم ، وهى حركة التعاون . فإن الحكومة المصرية تفعل مالا تفعله أى حكومة أخرى فى هذه الحركة التى يرجى منها كثير من الإصلاح الاقتصادى والتقدم الاجتماعى لعامل المدينة وفلاح الريف. ولا شك أن الحكومة الحاضرة عندما أنشأت وزارة الشؤون الاجتماعية إنما كانت تحفزها إلى هـذا الإنشاء رغبة صادقة فى الإصـلاح ، وهى تقوم الآن بالدرس والبحث لكى تشيد ما تبنيه على أساس صحيح من الحقائق الاجتماعية والاقتصادية ، ولـكن نجاحها سيتوقف على القدر من المعونة والمؤازرة الذى يقدمه اليها الشعب ، فليتنبه الشعب الى واجبه وليعلم أن الحكومة مظهر من مظاهره وأن عليهما من الأعباء مالا يستطيع الواحد أن يقوم به دون الآخر .

عبد الرحمن عزام

— قال على بن أبى طالب لرجل أسرف فى مدحه: "انا دون ما تقول وفوق ما تعتقد".

— من ترك قولة " لا أدرى " أصيبت مقاتله .

— إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها الطرائف .

— اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن الرواة كثير والرعاة قليل .

— يأتى على الناس زمان لا يقرب فيـه إلا المـاحل (الواشى) ، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقة فيه غرما، وصلة الرحم منا، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وأمارة الصبيان وتدبير الخصيان .

على بن أبى طالب

شبان هذا الجيل

حديث مع حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا

أقبل علىّ مشرق الوجه خفيف الحركة متجدد الشباب ، ترتسم على شفتيه الابتسامة التى حار الناس فى فهم معانيها إذ هى لا تتغير بل تبقى هى هى فى أعقد المواقف وفى أبهج الأوقات ، حتى لقد رأيتها تلازمه يوم أرادوا اغتيال حياته فى محطة القاهرة كما رأيتها تلازمه زفاف كريمته فى رمل الاسكندرية . أقبل علىّ وهو يحك احدى راحتيه بالأخرى ليدفئها قبل أن يمدها للسلام وابتدرنى قائلا :

" لو علمت أهمية العمل الذى قطعته الآن لأخلو إليك هذه الساعة لأدركت منزلة مجلة الشؤون الاجتماعية من نفسى . أنى أهنئ الوزارة بهذه المجلة الثمينة القيمة ، وأرجو أن تحمل هذه التهنئة الى معالى وزيركم " .

قلت : أشكر لدولتكم هذه المجاملة المشرفة .

فقاطعنى باشارة حاسمة وقال : لا والله ، فلست أريد مجرد المجاملة فالحقيقة هى أن مجلة الشؤون الاجتماعية جديرة بالمطالعة والتشجيع ، ويجب تأييدها وتعميم نشرها طالما حافظت على هذا المستوى من البحث والتحرير . بل لعلى اذهب الى أبعد من ذلك فأقول : إن هذه المجلة لو لم توجد لوجب ايجادها . فهى تفيد الأسرة والشبان المسئولين عن العامل والعلاج أجل فائدة ، وإنه ليسرنى أن أراها بين جميع الأيدى وفى جميع البيوت .

قلت : إن القائمين بأمر المجلة سيسرهم أن يسمعوا هـذا التقدير من رجل كدولتكم ولسوف أنقله اليهم كلمة كلمة .

ثم استند دولته الى ظهر مقعده الوثير وقال : والآن وأنا مطمئن الى أن الذى يحدثنى ليس صحافيا سياسيا ، تستطيع أن تسألنى ما تشاء .

قلت : إن من الأمور التى تعنى بها وزارة الشؤون الاجتماعية وتعالجها مجلتها أمور الشباب . ودولتكم قد خبرتم الشبان المصريين فى وظائف الحكومة وفى أعمال الشركات والمتاجر. فما أبرز عيوب هؤلاء الشبان وما أنجع الوسائل لعلاجها ؟ .

فتبسم الباشا واعترض قائلا : ولماذا تريد أن أبدأ بسرد عيوب شبابنا قبل أن اتحدث عن مزاياهم ومحاسنهم ؟ إن فى شبابنا المصريين فضائل يجب أن نمجدها ونشيد بها بقدر مايجب أن نتعهدها وننميها . ففيهم من دماثة الخلق ولين العريكة وحب المرح وقوة التحمل وسهولة التطبع والقدرة على المحاكاة شيء كثير . وهم لا تنقصهم روح السمو والوثوب ولا الكبرياء القومية التى تجعلهم يعتزون بقوميتهم ويحاولون أن يرفعوا هذه القومية الى مستوى جدير بأن يفخروا بها ويباهوا غيرهم من الشعوب .

نعم إن العراك الناشب بين الأحزاب السياسية فى مصر منذ عشرين سنة قد وضع أمام أعين شبان هذا الجيل بعض مثل سيئة وبعض قدوات غير صالحة أثرت الى حد ما فى اخلاق طائفة منهم ، اذ زعزعت فى نفوسهم شيئا من الإيمان بنزاهة الوطنية المصرية وبعثت فيهم اليأس من صلاح حال أمتهم وصرفت بعضهم عن العمل المنزه لوجه الوطن . وهذه بلا شك سحابة كدرة تغشى جو الشباب فى هذه الأيام ، ولكنها على كل حال مجرد سحابة ، وليس للسحاب استقرار ولا دوام .

"بعد ذلك اسمح لنفسى أن انتقل الى عيوب شبابنا فأقول إن من أبرزها كره الشباب المصرى للمسئوليات ونفوره من الأعمال التى تحمل تبعاتها وحده . فالموظف الشاب يتهرب من المسئولية بأن يحاول توزيعها على زملائه أو بأن يشرك فيها رؤساءه ويتمنى لو يتغطى دائما بالرئيس حتى فى التفاصيل التافهة التى لا تستوجب مشاورة هذا الرئيس . ومن ثم كان بطء الآلة الحكومية وطول الإجراءات التى تعطل مصالح الجمهور ، حتى لقد جرى مجرى الأمثال قول الناس " يوم الحكومة شهر " وهذه سمعة شائنة نود جميعا أن نعمل على إزالتها .

"واذا تحدثت عن الموظف الشاب فإنى اتحدث عنه بشيء من التحفظ ، ولا أقصد بقولى هذا نزاهة الموظف ولا شرفه ولا تعففه ، وإنما أقصد ذلك الشعور الداخلى الذى يجب أن يوحى إليه أنه خادم للجمهور وأنه يتقاضى أجرا على هذه الخدمة فيجب أن يؤديها على أحسن وجه ممكن وأنه مادام فى ديوانه فكل وقته مكرس للجمهور ، وأن اللحظات التى يقضيها فى مسامرة صديق أو فى مطالعة صحيفة أو فى التنقل بين المكاتب لزيارة الزملاء ، كل ذلك عبث بحق من حقوق الدولة عليه وتعطيل لمصالح يجب أن تنجز فى سرعة وفى دقة .

" هذا الشعور الداخلي الذى يجب أن يعتبره الموظف الشاب أول وأكبر رقيب عليه في عمله ، لا يزال فى حاجة الى التنمية والتعهد .

"لقد كنت رئيسا للحكومة وفى الوقت نفسه وزيرا لوزارتين ضخمتين وكنت أحمل بجانب ذلك كله اعباء أخرى باهظة ، وكان فى استطاعتى أن اتخفف من هذه الأعباء أو من بعضها ولكنى كنت اؤمن بأنى خادم للجمهور أمين على مصالحه فكنت لا أترفع عن قراءة العرائض التى ترفع الى وكنت أحيلها بخطى الى الوزير المختص وأرجو منه أن يتكلم معى بشأنها ، وكان ذلك يقتضى وأنا فى هذه السن أن أبدأ عملى فى الساعة السادسة من الصباح واستمر فيه حتى ساعة متأخرة من الليل، فهل يكثر على الموظف الشاب أن يفرغ نفسه لعمله الرسمى ست ساعات ؟ .

« وأعود الى عيوب شبان مصر فأقول إن من أبرزها أيضا أن ميلهم الى الأعمال التى تبعدهم عن المسئوليات قد أقعدهم عن حب الابتكار ، فهم يدورون دواما فى المدار الذى وضعوا فيه وبالكيفية التى رسمت لهم ، ولا يحبون أن يخرجوا منه الى حيث تتكشف لهم آفاق جديدة يصرفون فيها مواهبهم المجهولة ويستغلون ذكاءهم الدفين ، ولعل الركون الى الهدوء والراحة، وبغض التحرر من القيود التقليدية، والاعراض عن محاولة الابتكار والتجديد، هى فى مقدمة الأسباب التى تجعل الشاب المصرى أقل نجاحا فى الأعمال الحرة منه فى الوظائف الحكومية .

" وعلاج هذه الحالة لا يأتى بالطفرة وإنما يترك للزمن فهو خير مدرب وأفيد مدرس ، ولا شك أن المثل التى يضربها الأجانب المقيمون بيننا سيكون لها أثرها الفعال فى نفوس شبابنا وستكون قدوة حسنة يقتدون بها عندما تقفل فى وجوههم أبواب المناصب الحكومية وتضيق بهم مكاتب الشركات . إن أمام الشاب المصرى نضالا عنيفا فى الحياة وسوف تضطره طبيعة الأحوال الى أن يعتمد على نفسه فى حياته، وهذا الاعتماد الذى لاغنى عنه لذلك النضال سيصهر روح الشباب وعقليته ومداركه ومواهبه وسيجلو نفس الشباب لعيبه فيتبين ما فيها من مزايا وعيوب ، وإذا قلت أن للزمن عمله فلا انسى أن للتعليم المدرسى عمله أيضا فيما يجب من الكشف عن استعداد الشبان وحسن توجيههم . غير انى الاحظ مع الأسف الشديد أن المحاولات التى تبذل فى هذا السبيل ليست كافية وأن النظريات المجردة لا تزال تطغى فى معاهدنا العلمية على التوجيه العملى المفيد، وانى أعتمد على الزمن أيضا فى ترقية البيئة المنزلية التى يتربى فيها الشاب ، فان هذه البيئة على ما هى عليه الآن لا تبعث فيه روح الجد والاعتماد على النفس والرغبة فى الابتكار ومحاولة الخروج عن المدار الضيق الذى تنحصر فيه آمال الشبان ، وهو مناصب الحكومة ووظائف الشركات .

قلت "ولمناسبة ذكر الشركات ، ودولتكم أعرف من غيركم بأعمالها وما تتطلبه هذه الأعمال من مواهب وأخلاق ومؤاهلات ، هل ترون أن الشباب المصرى يستطيع وهو فى حالته الراهنة أن يعوض الشاب الأجنبي فيها ؟ ."

فاطرق دولته مليا وهز رأسه من أعلى الى أسفل ومن أسفل إلى أعلى فى حركة تنم على الشعور بخطورة السؤال ثم قال :

"نعم يستطيع أن يعوضه ولكن إلى حد ما . وأقول إلى حد ما ، لأنه ينبغى أن لا ننسى أن وراء هذه الشركات رؤوس أموال يجب أن تستثمر على خير الوجوه . فما يمكن أن يتغاضى عنه فى بعض الوظائف الحكومية لا يمكن أن يتغاضى عن مثله فى أعمال الشركات . إن المسئوليات فى مكاتب الشركات محددة تحديدا دقيقا والأعمال موزعة توزيعا عادلا . فأى نقص فى الكفاءة أو ضعف فى الخلق أو تقصير فى العمل لا يلبث أن يبدو واضحا للرؤساء ولا بد أن يتأثر به سير العمل . لذلك أنصح بأن نسلك فى موضوع إحلال المصريين محل الأجانب سلوكا حذرا وئيدا نراعى فيه مبلغ نضجنا وكفايتنا واستعدادنا وإلا أدى التسرع إلى ظهور شكاوى وطعون وانتقادات وأحكام لا نحبها . لقد سبقتنا حكومة تركيا إلى هذا الإجراء وأبت الا أن تفرض شبان بلادها على الشركات الأجنبية فرضا وفى فترة قصيرة من الزمان . ولكن هذا العمل ، الذى لا شك فى أنه عمل قومى شريف ، قد أحدث هزة عنيفة فى دولاب الأعمال ما أظن إلا أنها تركت أثرها فيه . نعم إنى أود لو أغمض عينى وأفتحها فأرى المصريين يشغلون وظائف الأجانب فى الشركات ولكنى فى الوقت نفسه أرجو أن تتريث ونتمهل حتى نراهم يشغلونها بجدارة مشرفة واستحقاق لا شك فيه .

"أظن أننا لا نختلف فى أن محصول شبابنا من اللغات الأجنبية محصول ضئيل أو غير كاف ، وذلك راجع الى نقص برامج تعليم تلك اللغات فى مدارسنا والى ضعف الوسائل التى تعلم بها فيها ، فكيف نتصور أن حامل شهادة البكالوريا المصرية يستطيع أن يعمل بتفوق أو بنجاح فى شركة تسير أعمالها بلغة لم يتمكن منها ، وكيف يتسنى لهذا الشاب أن يتفهم التقارير المطولة والمكاتبات الفنية أو أن يستقرئ الإحصاءات الدقيقة ويرتب عليها النتائج الصحيحة بلغة لا يلم بها ؟

"ولقد لاحظت أيضا أن أبناء الشرقيين المتمصرين قد استطاعوا أن يعوضوا الأجانب فى مكاتب الشركات وفى المتاجر ونجحوا فى ذلك إلى حد لم يبلغه شبابنا المصريون . وذلك راجع بغير شك الى أن هؤلاء المتمصرين نشأوا فى بيئة كلها حد ونشاط وصبر وجلد واعتماد على النفس وعدم الاستخفاف بأمور الدنيا وشؤون الحياة ، والى أن آباءهم يعلمونهم العلم العملى ويدفعونهم إلى ميدان العمل بعد أن يلقنوهم أن نصيبهم من الحظ لا يمكن الا أن يكون معادلا

لما يبذلونه من الجهود . بخلاف أكثر أبنائنا الذين يعتمدون فى الغالب على أهلهم وأصدقاء أهلهم من ذوى النفوذ والجاه فيرتبون مستقبلهم على هـذه الاعتبارات ، حتى إذا تخطاهم الحظ أو قعد بهم التوفيق فقدوا كل أمل ولبثوا ينتظرون الفرصة التى قل ما تسنح .

"على أنه إذا دخل فى روع شبابنا وثبت فى وهمهم أن الأجانب قد سبقوهم إلى ميادين النجاح بمراحل يتعذر عليهم ادراكهم فيها ، فلا أقل من أن يتخذوا من الشرقيين المتمصرين قدوة لهم يحتذونها . وحسبهم أن يعلموا أن كل أصحاب تلك الأسماء المشهورة منهم لم ينشأوا أغنياء وانما نشأوا فقراء فأوصلهم الجد والاعتماد على النفس إلى الغنى الذى وصلوا اليه .

"لا يكفى أن تقتصر اعتمادنا على معسر يتنا لندعى الأحقية فى شغل وظائف الشركات . وانما ينبغى أن نسمو بمؤهلاتنا وأخلاقنا حتى نكون أهلا لها . وأرجو أن يغنينى هذا التلميح عن تفصيلات لا أريد الخوض فيها " .

* * *

قلت : نحن نسمى دولتكم " رجلا ناجحا " فهل تحدثوننى عن الصفات الخلقية والنفسية التى تساعد العلم والذكاء على ادراك النجاح ؟

فأجاب دولته :

"النجاح؟ ... ومن ذا الذى يستطيع أن يخضع النجاح للقواعد والقوانين؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يسقط نصيب الحظ والصدفة والعوامل الخارجية فى النجاح ؟ ... ولكنى برغم هذا أقول لك أن لسائر الناس خمس حواس عرفت بأسمائها . وهنالك حاسة سادسة لا تتوافر الا فى بعض الموهوبين . وهذه الحاسة السادسة لا أعرف لها اسما ، ولك أن تسميها " حسن الوزن " أو " حسن التقدير " فاذا اجتمعت هذه الحاسة مع العلم والذكاء فى إنسان فهى تهديه إلى حسن وزن الأمور والى حسن تقديرها فيستطيع أن يتبين بها الممكن من المستحيل وحدود الإمكان وحدود الاستحالة فى جميع المشروعات التى تمر بخاطره .

" انك عند ما تريد أن تجتاز الشارع وترى سيارة مقبلة من اليمين أو من اليسار فإنك تقيس بهذه الحاسة المسافة التى تفصل بينك وبينها وترتب على هذا القياس إقدامك أو إحجامك ، كما أنك ترتب عليه ابطاءك فى الخطو أو إسراعك فيه ، وكثيرون من الناس يخطئون فى القياس فتصدمهم السيارة ، وكثيرون منهم يخطئون فى القياس أيضا فيتريثون أكثر مما يجب التريث فيضيعون الفرص .

" هـذه الحاسة الموجودة بالفطرة فى الانسان العـادى تنمو وتتوقد فى بعض الأذكياء والمتعلمين فتحمل الواحد من هؤلاء الموهوبين كلما خطر له مشروع ، على أن يقيس حدود قدرته وحدود عوامل النجاح التى بين يديه وحدود الظروف الملابسة لمشروعه وحدود الطوارئ غير المتوقعة التى قد تطرأ عليه ، فمتى أحسن الوزن والقياس لم يبق أمامه الا أن يقدم فينجح.

أما إذا لم ينجح فمعنى ذلك أنه اخطأ فى الوزن والقياس والتقدير .

" على أنها حاسة تتصادفها فى كثير من الناس ، وأظن أن فقدانها كان السبب الأهم فى فشل بعض عظماء التاريخ ولا يزال السبب الأهم أيضا فى إخفاق مشروعات كان المظنون أن يلازمها النجاح .

قلت : "إن حياة دولتكم حياة كلها جهاد ونضال ، ولا بد أنكم أخفقتم مرة فى مشروع خطير أو فشلتم فى تحقيق خطة كنتم تنتظرون لها نجاحا كبيرا ، فماذا كان أثر الفشل والاخفاق فى عزيمتكم ، وهل وصل بكم مرة إلى حد اليأس الذى يقعد عن معاودة السعى والعمل ؟

وهنا ضحك دولته ضحكة الذكى المتنبه الذى لا يخفى عليه خبث محدثه وقال :

" إنك تحاول أن تجرنى إلى الكلام عن نفسى . ولكن لا بأس وليكن لك ما تريد ، فلعل خبرتى وتجاربى ووسائلى تفيد الشبان الذين تنقل اليهم هذا الحديث .

" لقـد عرفت حلو الأيام ومرها ولقـد صادفتنى صعوبات كثيرة وصدمتنى صدمات هائلة ومع ذلك فها أنا ذا كما ترانى لم أغرق فى خضم الحياة الذى ابتلع كثيرين غيرى .

" إنى لم أعرف اليأس قط ولم يحطم الإخفاق إرادتى ولم يفل عزيمتى ، وكنت دائما وفى كل أحوالى أعتمد على نفسى وأومن بأن الشئ ما دام ممكنا فلا بد من الوصول اليه إن لم يكن من هذا الطريق أو ذاك فمن طريق غيرهما .

أى نعم ! لقد صدمت صدمات كفيلة بأن تنهى حياة رجل سياسى أو لا تدع له أملا فى العودة إلى مسرح السياسة ، ولقد ظن الناس عقب كل صدمة من هذه الصدمات أنى لن تقوم لى بعدها قائمة ، ولعلك تذكر الظروف التى خرجت فيها من الوفد المصرى ، ولعلك تذكر أيضا الظروف التى فرقت بين بعض الزعماء وبينى ، واختلاف وجهات النظر الذى أدى إلى استقالة وزارتى سنة ١٩٣٣ ، لقد كانت هذه كلها حالات موجبة لليأس ولكنى لم أيأس قط .

" كنت فى كل مرة أستعرض حالتى كما يستعرض التاجر دفاتره أو كما يفحص الميكانيكى الجهاز المعطل بين يديه ، فإذا وجدت خطأ فى الحساب عرفته وصححته وأقمت عملى على حساب جديد ، واذا وجدت قطعة فى الجهاز مكسورة استبدلت بها غيرها ، وإذا رأيت أن الجهاز كله غير صالح أتيت بجهاز جديد ، وبذلك أعاود السعى وأستأنف المسير فأصل وأنجح فى بلوغ ما أريد .

" يجب الصمود للشدائد والاعتماد على النفس والإيمان بأن صدق العزم وحسن الوسيلة كفيلان بالوصول إلى الغاية وهذه هى النصيحة التى أقدمها إلى شباب هذا الجيل " .

وهنا رأيت أنى اسرفت فى استغلال لطف الرجل بالإطالة فى هذا الحديث فوقفت عند هذا الحد وشكرت لدولته فضله وطول أناته وودعته على أن أعود اليه كلما فكرت فى أن أزجى إلى شبابنا حديثا قيما ممتعا مملوءا بالإرشادات القائمة على تجارب الأيام وخبرة الحياة " .

ح . ا .

— خطة العاقل فى رأسه ، وخطة الجاهل فى نفسه .

— الوقت عدو مجتهد ، لا يدافعه إلا مجتهد .

— الشباب أعراس الجمال ، والمشيب مآتمه .

— الخاصة أذوق لحكمة البيان ، والعامة أذوق لحكمة الالحان .

— العامة أذناب من يمسح رءوسهم .

— يهدم الصدر الضيق ما يبنى العقل الواسع .

شوقى

أثر اللغة فى الشؤون الاجتماعية

لحضرة صاحب المعالى محمد توفيق رفعت باشا
رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية

إذا كان صحيحا أن للغة أثرا غير قليل فى شؤون الحياة الاجتماعية ، فصحيح أيضا أن لكل شأن من هذه الشؤون أثرا غير قليل فى اللغة . وذلك أن اللغة ما تزال تتتبع طوارئ الحاجات وتتحرى دواعيها ، ثم لا تنصرف عنها إلا بمغنم من الأوضاع والتسميات المستحدثة ، فإذا استدعتها بعد ذلك حاجة طارئة أجابتها من هذه الأوضاع والتسميات بما تطلبه بعد أن تكون قد طبعته على غرارها .

فحال اللغة فى الشؤون الاجتماعية هى أبدا حال أخذ وعطاء : هذه الشؤون تظهر الحاجة وتدل على الضرورة ثم تقتضى من اللغة أن تمكنها من وسيلة التعبير عنهما وتيسر لها أداة التفاهم فيهما ، واللغة تتناول هذا الذى يتجدد من حاجات وضرورات فتلبسه من عندها ثوبا يساويه وتعطيه من ذخيرتها اسما يطابقه أو تعبيرا يدل عليه .

وفى القديم دليل على ذلك لا ينكر ولا يرد . فحينما كانت شؤون الجماعة مقيسة بحاجاتها القليلة ، كانت اللغة تقوم لهذه الشؤون بكفايتها من الألفاظ والتعبيرات ، وكانت تسخو لكل شأن بما يؤدى إلى المتخاطبين أغراضهم من معانى الحقيقة والمجاز . فلما استفاضت مطالب الجماعة واستجدت لها حاجات ، كان لابد أن تسعفها اللغة بما يتيسر به التفاهم على هذه المطالب والحاجات . وهنا اتسع صدر العربية للدخيل حينا وفزعت فى الأحيان الكثيرة إلى أصولها تشتق منها الدوالّ من الأوصاف والأسماء بعد أن تطيع فيها حكم ضوابطها المقررة .

وقد صح عند الناس أن اللغة كائن حى . فهى بذلك تنتقل ، مع اختلاف الزمن والإقليم والبيئة ومع تدرج الحياة ، من ضيق الى سعة ومن سعة الى ضيق ، بين أطوار لا تنتهى .

وتمثيلا لذلك نفرض أن أنواعا من المنافع المادية أو المعنوية دخل بها اجتهاد العقول على شأن من شؤون الحياة. فكيف يكون موقف اللغة من هذه الأنواع الطارئة ؟ إنه لايكون شيئا غير أن يعطى كل نوع مطلبه من الألفاظ والتعبيرات ، وأن يمكن أهل النظر فيه وأصحاب العناية به من أسباب البيان والإيضاح . ولكن وسيلة اللغة الى ذلك انما هى وسيلة الشريك الذى لا ينفرد بالعمل . فكلما اقتضت الضرورة حاجة من الحاجات الاجتماعية ، مدت يدها الى اللغة بهذه الحاجة لتصنع لها من الألفاظ ثوبا على قياسها ، وكلما ارتفعت شؤون الاجتماع درجة فى سلم الرقى ، أو كلما اتسعت ثروة ونماء وازدادت بهجة وجمالا ، عادت اللغة من ذلك بالنصيب الجزيل والذكر المحمود .

على أنه لولا التعبير والبيان لما استطاعت الحضارات الإنسانية أن ترفع عن نفسها حجب الخفاء ، ولولا اللغة لتعطلت أداة التعبير ولبقيت الألسن معتقلة وراء الشفاه . فأثر اللغة فى هذه الحضارات أنها أعربت عنها ثم قامت على حفظها مقام الحارس الأمين ، وأنها قبل هذا الإعراب والحفظ مهدت لها سبيل الحياة فأبرزت عناصرها الى الوجود ثم حملتها الى العقول والأفهام ثم صحبتها حتى صارت أركانا قوية ثم أقامت هذه الأركان القوية حتى صارت بناء ضخما .

وانا لنستطيع بأقل نظر فيما حولنا أن ندرك ما للغة فى شؤون الحياة الاجتماعية كافة من أثر بعيد الغور . فلنسأل أنفسنا كيف كانت حال الإنسانية تكون لو أن الناس اختزنوا فى صدورهم من أول الأمر هذه العلوم والفنون والآداب وقواعد المال والأخلاق والاقتصاد ثم لم يجدوا من اللغة معينا على أن يؤديها بعضهم لبعض ؟ وأهون من ذلك فى موضع السؤال أن ننظر الى معلم المدرسة وخطيب النادى ومؤلف الكتاب ومحاضر الجماعة وكاتب الصحيفة وكل من يريد أن يعرب عن شىء فى نفسه الى آخرين . فأية حيلة كان هؤلاء جميعا يستطيعون أن ينفذوا بها الى الأذهان والقلوب لولا هذه اللغة التى تجرى بها الألسنة فى الأفواه ؟ ومن وراء هذا العجز المشاهد وهذه الاستحالة الظاهرة يأتى الاعتراف بفضل اللغة على الحياة وبوجوب تيسير اللغة وتغذيتها وتنميتها لتنطبق على أحوال الحياة .

لم تكن اللغة قط غاية تراد لذاتها ، ولكنها كانت وستبقى أبدا وسيلة الى التعبير الدقيق والتفاهم الصحيح ، فلا يجوز أن يبقى شىء فى الدنيا بلا اسم يدل عليه بحجة أن أصحاب اللغة لم يعرفوا هذا الشىء ولم يسموه . ومن الخطأ أن نعتبر اللغة أثرا جامدا تجب المحافظة عليه كما تركه صانعوه ، فالعقل البشرى دائم الحركة والتنقل والتقدم واذا تخلفت عنه اللغة فى الطريق انقطعت الصلة بينها وبينه وتعذر عليها اللحاق به وعجزت عن أن تقوم بالمهمة التى جعلت لتقوم بها وهى مهمة التعبير والتفهيم .

ولست أتبين وجه الصواب فيما يذهب اليه البعض من أن باب الاجتهاد فى اللغة قد أقفل . فأبواب الاجتهاد لا تقفل ولا يجوز أن تقفل والا كان معنى ذلك تقييد العقل الانسانى والحد من نشاطه وهذا أمر لا يقول به عاقل ولا يرضاه قوم يريدون لغتهم على أن تماشى المدنية فى ميادين تقدمها ورقيها .

وإنى اذ أتكلم عن الاجتهاد لا أعنى الفوضى والاباحة وحكم الجهال وتحرر الأدعياء وما الى ذلك مما يخرج اللغة عن طبيعتها ويحو طابعها و يقطع الصلة بين ماضيها وحاضرها ، وانما أعنى الاجتهاد المنظم فى الحدود التى تحفظ كيان اللغة وأصولها . وما أسس مجمع فؤاد الأول للغة العربية الا ليؤدى هذه المهمة السامية ويبلغ هذه الغاية العزيزة .

واذا أردنا أن نخص العربية الشريفة بفضل لا يجحده أصحابها ولا ينكره عليهم المنصفون فانا نأمن اللائمة حين نقول إنها كانت ولا تزال أسخى وأبر من غيرها ، وإن ما ينسب اليها من القصور ليس صفة لها ولا طبعا فيها ولكنه صفة أهلها فى بعض أيامهم وطبع الزمن فى بعض عصوره . وحسب السماحة أن تلين هذه اللغة على كل لسان وأن تصفو فى كل صدر فلا تلبث أن يطلبها الذوق فتجيبه و يستقضيها العقل حاجته فلا ترده ، وحسبها غنى أنها لا تبخل بشىء على مستزيد وأنها تلبى الى أصحابها ما يشاءون كلما عادوا اليها يستولدونها كلمات وأسماء لكل جديد تستدعيه منافع الحياة .

ورجاؤنا المنجز الصدق إن شاء الله أن تنزل اللغة العربية عند القائمين على شؤون الإصلاح الاجتماعى منزلة الكرامة والتقدير ، فانهم أغنى بالمعرفة ونفوذ البصيرة من أن يفوتهم أن الناس لا يزالون يرون كل أمة فى مرآة من لغتها .

سدد الله خطى العاملين ، ورزقنا وإياهم نعمة التوفيق فيما نفعل ونعمة الإخلاص فيما نقول .

محمد توفيق رفعت

رجل الادارة

فى ميدان الخدمة الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

"هذه آراء رجل خبر الإدارة وأساليبها ، وعرف فضائلها ونقائصها ، وأدرك مايستطيعه رجل الإدارة فى ميادين الخدمة الاجتماعية ، وجاء يدلى بنتائج خبرته وتجاربه فى هذا المقال المتع البديع" .

المحرر

رجل الإدارة أكثر موظفى الدولة اتصالا بميادين الخدمة الاجتماعية ، لأنه أكثرهم اتصالا بالمجتمع وأعلمهم بمواطن النقص فيه . ولرجل الإدارة بين الجمهور مكانة تختلف عن المكانة التى يحتلها غيره من الموظفين . ففى الأقاليم ينتهى السلك الادارى الى منصب المدير ، وقلما يتصل المحكومون بالمراجع الادارية العليا فى وزارة الداخلية . فالمدير ومرءوسوه هم الهيئة الحاكمة فى الإقليم يعلمون من شؤونه ودخائله وحاجاته ما لا يعلمه الوزير الا بواسطتهم وفى الصورة التى يصورونها . ويستطيعون أن يقدموا لأهل الإقليم من الخدمات ما لا يفكر فيه الوزير الا اذا اقترحوه عليه وأقنعوه به . ومن ثم فرجل الادارة اذا أدرك مهمته الاجتماعية إدراكا صحيحا كان عامل الاصلاح وأداة التعمير ورسول الخير والرحمة للناس .

لقد قضيت من حياتى أربعين سنة فى الوظائف الادارية ، وارتقيت سلم هذه الوظائف من بداية درجاته الى نهايتها ، فاذا كانت هذه الخبرة الطويلة أوحت إلىّ شيئا فهو أنه يجب على رجل الادارة أن ينأى بنفسه عن الغرور الذى يزين له أنه حاكم باطش قاهر ، وأن من عداه من المحكومين عبيد طائعون أو جند محضرون ، وألا يتجاوز فى سلوكه مع الناس ذلك الحد الدقيق الذى يفصل بين الشجاعة والتهور ، وبين التواضع والضعة ، وبين الفصاص والقسوة ، وبين الحلم والجبن . وفى اعتقادى أن هذه النصيحة ان كانت حرية بأن تسدى الى جميع الناس على اختلاف مناصبهم وطوائفهم ، فرجل الإدارة أحق بها وأولى ، لأن أسباب الاستهواء والاطغاء تتزاحم حوله : فمن الناس ضعفاء يخشون سطوته فيخشعون بين يديه ويذلون ، ومنهم متملقون يوهمونه أنه بلغ الذروة فى العلم والخلق والجاه والسلطان ، ومنهم أغنياء ذوو مصالح وحاجات يتفنون اليه الوسيلة بإهداء الهدايا ومد الموائد وتهيئة أسباب التسلية والمتاع ، وتلك رشوة مستورة وشراء للذمة مقصود وإن صيغ فى قالب الصداقة والتودد ، ومنهم أشرار يثيرون بجرأتهم و بإجرامهم غضبه وقد يخرجونه عن طوق الحلم والأناة .

وهكذا تصطلح على رجل الادارة عوامل الافساد فلا يعصمه منها إلا اليقظة وضبط النفس وكبح الشهوة والشعور الدائم بأنه من المجتمع واليه ، وبأنه إن كان حاكما فى مكان فإنه وعشيرته وأهله محكومون فى مكان آخر ، فهو مسئول أن يعطى محكوميه من العدل والبر والخدمة الصادقة مايريده لنفسه وأهله من حاكميهم .

و إذ كان السلك الادارى فى الأقاليم كما قدمت ينتهى الى المدير ، واذ كان المدير أرفع موظفى الدولة فى إقليمه منصبا ومرتبا ، وأوسعهم نفوذا وأكثرهم جاها ، فان عليه من الواجبات الاجتماعية مالو نهض ببعضه لأدى الى محكوميه أنفع الخدمات .

فهو يستطيع بوسائله و بكياسته وحسن تصرفه أن يجعل نفسه راعيا لأسرة الموظفين ، مهما تختلف الوزارات التى ينتمون اليها ، ومرشدا ومسترشدا ، ومعينا ومستعينا .

نعم إنه ليستطيع أن يتزعم الجميع ويفيد بجهودهم إقليمه أحسن الفائدة وأعمها وأسرعها . ولا خير فى استقلال كل فريق من الموظفين الإقليميين بتفكيره وأعماله ، بل الخير فى التساند مادامت الحكومة كلها شخصا معنويا يقوم على خدمة الشعب .

اذا نجح المدير أو المحافظ فى أن يجعل منه ومن رئيس النيابة ومفتشى الرى والزراعة والتعاون ومأمور الأوقاف ومدير التعليم أو رئيس المنطقة التعليمية ومفتشى صحة المديرية وغيرهم من ممثلى الجهات الحكومية أسرة تتشاور وتتآزر فى شؤون الإقليم ، سواء فى الزيارات المتبادلة أو فى المجالس الخاصة أو فى اجتماعهم بنادى الموظفين ، فان سائر الشؤون الاجتماعية تكون قد حصرت فى أيد متشابكة متضافرة ، وفى عقول متقاربة متجاورة ، و ينتهى جهدها حتما إلى خير الإقليم و إسعاده .

وقد استطاع كثير من المديرين بمكانتهم عند الجمهور أن يفضوا المنازعات ، و يطفئوا جذوة الخصومات . كما استطاع آخرون أن يجعلوا من المجالس البلدية أو مجالس المديريات التى يرأسونها قوى للبناء والتعمير . وكم قد رأينا من المشروعات العامة كالمكتبات والمتنزهات والملاجئ والمدارس ما نهضت به هذه المجالس وكان الموحى بها هو المدير . ومهمة المدير لا تقتصر على الايحاء ، إذ هو لا يكفى فى كثير من الحالات حيث تكون المدينة أو المديرية بعيدة عن مراكز الحضارة . فان الأعيان الذين يحظون بالنيابة عن مثل هذه المناطق يحتاجون الى أكثر من الايحاء . ولذلك رأينا أثر النشاط الذى يبديه المدير أو المأمور فى اصلاحات كثيرة لم تكن لتتم لولا الايحاء تتلوه المثابرة النشيطة فى حمل الأعضاء على قبول المقترحات وتنفيذها . ولسنا بذلك ننقص من قيمة نشاط الأعضاء فى مجالسنا المحلية ولكن الاختبارات السابقة أثبتت أن للمدير أو المأمور النشيط قوة التوجيه للكثير من هذه المجالس .

وكذلك الأمر فى إنشاء المؤسسات الخيرية . فان رجل الادارة يمكنه أن يقترح وأن يقود الحملة للتبرعات . ذلك أن الأعمال الخيرية انما يقصد منها تخفيف الأعباء التى لا يستطيع أن يتحملها المحتاجون اليها . ورجل الادارة أعرف الموظفين بهؤلاء المحتاجين .

والمدير يرى فى إقليمه التعطل والفقر والمرض والتسول ويقف بنفسه على آثارها السيئة ففى مقدوره أن يحمل الأغنياء والموسرين على إقامة الملاجئ والمستشفيات ، وأن يدبر العمل للعاطلين . وقد يقال إن هذه الأعمال يجب أن تكون ثمرة لمجهود الحكومة ، والحقيقة أننا اعتدنا أن نقول هـذا القول مع أن أعظم المبرات إنمـا قام به الأبرار فى أوربا وأمريكا بجهودهم الفردية قبل أن تتولاها الحكومات . ولا يقل أثر رجل الادارة فى الريف عنه فى المدن ، بل لعله يزيد . وفى مثل ظروفنا القومية الحاضرة وما تضطر اليه الحكومة من القيام بتكاليف خطيرة يجب أن يستعين رجل الادارة بأفراد الجمهور وبأموالهم على سائر الأعمال والمنشآت الاصلاحية . ولا نستطيع أن نتهم جمهورنا بالبخل ، لأن الحقيقة أننـا لم نسبر مدى ما فى نفوس الناس من خير ، ولكنا نرى أعيانا وأغنياءنا يتفاخرون بالاسراف فى الأعراس والمآتم ، وينفقون المـال جزافا على الحفلات والمظاهر الزائلة . وهم إنما ينبعثون الى هـذا الإسراف باعتقاد أنه ضرب من الشهامة والنخوة والأريحية ، ويطلبون به الكرامة والاحترام عند أبناء وطنهم . فاذا استطاع المدير أو المأمور أن يقنعهم بأن الكرامة والاحترام إنما ينالان بالعمل البـاقى المثمر ، والمبرة النامية المفيدة فانه يستطيع أن يملأ إقليمه أو مركزه بالمؤسسات الخيرية سواء فى المدينة أو الريف .

والى جانب هـذا يمكن لرجل الإدارة أن يعمم حركة التعاون . فان جميع الذين درسوا مسائل الفلاح يجدون أن التعاون هو الوسيلة العاجلة الوحيدة فى الوقت الحاضر للإصلاح الريفى . وكل ما تحتاج اليه جمعية التعاون هو البـدء فى تأليفها مع القليل من المـال . وليس البدء شاقا إذا كان رجل الادارة يقترح المشروع ويساعد على جمع العدد اللازم من الفلاحين المستأجرين أو المزارعين المـالكين ويدعوهم الى تأسيس الجمعية بعد أن يبين أغراضها ويشرح الفوائد العظيمة التى تعود على جميع الأعضاء منهـا بل على جميع سكان القرية . وكثير من الريفيين فى مصر يجهلون فوائد التعاون ، بل منهم من لم يسمع به . ولو عرفوا حقيقته لسارعوا الى تأليف الجمعيات التعاونية ، ولأدى ذلك الى نهضة اقتصادية زراعية عمرانية تملأ البلاد رفاهية ورخاء .

ورجل الادارة هو اليد اليمنى للنيابة العامة . وهو أحيانا يصل الى ما لا يصل اليه المحققون من دقائق الحوادث الجنائيـة وأسرارها . كما أن الموبقات والمفاسد التى تتفشى فى بيئته تجد منه دراية بتفاصيلها وأسبابها . ومن الحسن أن نستغل فيه هذه الميزات وأن نطلب اليه

الإدلاء بآرائه فى جميع المشروعات العامة التى نقصد منها الى الترفيه عن الطبقات الفقيرة والمحرومة ، ويجب أن نعترف بأن مركزه يتيح له الوقوف على كثير من الحقائق التى نجهلها فى كل شأن يتصل بالخير العام .

وانى لأغتبط إذ أرى وأقرأ من أخبار المديرين والمحافظين فى هذه الأيام ما يدل على فهمهم هذه الآراء واتجاههم هذه الوجهة ، وأن أجدهم يشغلون أنفسهم بتخفيف آلام المتألمين من العمال والفلاحين . فمنهم من يقدم الى الحكومة اقتراحات تتعلق بتسوية ديون المدينين المهددين فى أراضيهم وبيوتهم ، ومنهم من تفاهم مع مديرى المحالج والمصانع على أن يقدموا مجانا الى العمال طعام الغداء مرة كل أسبوع ، ومنهم من يقيم أندية للألعاب الرياضية خاصة بهذه الطوائف الفقيرة ، يراد بها خدمة أجسامهم بجانب الخدمات الأخرى التى تؤديها وزارة الصحة .

ومن أولئك المديرين والمحافظين من وضع نظاما لتحسين التعليم الالزامى وجعله "إقليميا" بمعنى الكلمة ، بحيث يتعلم أطفال كل قرية ما امتازت به قريتهم من صناعات خاصة كالنسيج أو صنع السجاد والأحذية أو غير ذلك ، مع تدبير حياة الخريجين بعد تخرجهم ، إما بإيجاد أعمال لهم ، وإما بإحالتهم الى مدارس أرقى وأكفل لمستقبلهم .

ومنهم من حض مرءوسيه من المأمورين على أن يعمموا بمساعدة الأعيان والنابهين المجالس القروية والجمعيات التعاونية والمتنزهات الصغيرة ومضخات الحريق والأجهزة البسيطة الصنع التى تخرج ماء صالحا للشرب ، ولا تكلف الناس باهظ النفقات .

ومنهم من رق لحالة الألوف المؤلفة من حفاة الأقدام ، فابتكر لهم نعالا رخيصة متينة يصونون بها أقدامهم ، ويحفظون جسومهم مما تجلبه الآفات التى تصيب القدمين من أمراض وعلل .

وهكذا يستطيع رجل الادارة أن يبتكر ويملأ الحياة الاجتماعية نشاطا ونفعا ، وليس أحد أوفر منه حيلا ووسائل ، وأبرك ثمرات ومنافع ، اذا خلصت نيته وصدق اتجاهه الى الخدمة الاجتماعية .

هذه الأمثال التى ضربناها تفسح الطريق أمام من لا يزال يسأل أين الطريق ، ولعلنا عن قريب ، لانجد بين رجال الادارة من يقصر همه ومنصبه على أن يتلقى الأوامر من الرؤساء ليلقى بها الى المرءوسين ، أو من يحسب أن الموكب المحفوف بالحاشية والاتباع ، والحفل المونق المفعم بمظاهر التكريم وخطب التمجيد هما كل اختصاص المنصب وكل ما يهم الحاكم والمحكوم .

على جمال الدين

الأضحية والقرابين

عند مختلف الأمم وفى شتى الشرائع

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب

يدلنا البحث فى نشأة الأديان وتاريخها على أن فكرة التقرب للعبودات بتقديم الأضاحى والقرابين ، واتخاذها براقا تصعد عليه رغبات عالم الأرض ومخاوفه الى عالم السماء ، والتوسل بها لجر ما تبتغيه الأفراد والمجتمعات من منافع ، ودفع ما يتهددهما من أضرار ، كل أولئك قد نشأ مع الانسانية ، وظل ملازما للتفكير الدينى فى مختلف مراحله ، وسيظل باقيا ما دامت العقائد والعبادات . فلم يخل من هذه الشعيرة دين من الأديان ، ولم تعر منها حياة شعب من الشعوب . جاءت بعبادات الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئة والمانوية وعبدة الكواكب والحيوان ، كما جاءت بشرائع الموحدين من اليهود والمسلمين . تعثر عليها فى أبسط مظاهر التدين وأكثرها اضطرابا ، كما نصادفها فى أرقى أشكاله وأشدها دقة وإحكاما . ولا أدل على قدمها وعموم انتشارها من الكلام عنها بجميع أسفار " العهد القديم " ومن أن القرآن الكريم يحدثنا عن شكل من أشكالها جرى العمل به فى عهد أبى البشر نفسه إذ يقول : "واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . . . الآية".

وقد جرت هذه العبادة الدموية على بنى الانسان كثيرا من المصائب والويلات . فكم أثكلت أمهات ، وأيتمت أطفالا وأيمت نساء ، وكم ذهبت فى سبيلها أرواح بريئة طعمة للنيران وغذاء للسمك . وكم حملت الآباء على تقديم أبنائهم قربانا لمذابح اللاهوت وإزهاق أرواحهم بأيديهم . وكم دعتهم الى وأد بناتهم وإغراقهن ابتغاء مرضاة الآلهة . وكم دمرت من مدن وقضت على شعوب .

وذلك أن الضحايا فى أقدم أشكالها وعند طائفة كبيرة من الامم المتحضرة كانت تقدم من بنى الإنسان على اختلاف فى نوعها باختلاف الأمم والشرائع، وتبعا للأحوال المحيطة بالتقدمة والأسباب الداعية اليها . فقد كانت أحيانا من الإناث، وكانت تارة من الأطفال، وتارة من الشبان والشيوخ . غير أنه يظهر من استقراء هـذه الحالات عند مختلف الأمم وفى شتى مراحل التاريخ أن معظم الضحايا الانسانية كانت تقدم من طائفتين: من الأطفال ذكورهم وإناثهم (ولاسيما أول من يولد منهم لأبويه) . ومن البنات الأبكار . ويظهر كذلك أن معظم من كان يضحى به من غير هاتين الطائفتين كان يؤخذ من أسرى الحرب والأرقاء والمذنبين . غير أنه فى أحوال غير قليلة كانت الضحايا تقدم من طبقات راقية من الشعب. فكثيرا ما قدمت أمم ملوكها أنفسهم قربانا لمعبوداتها .

وإذا لاحظنا أن المناسبات التى كانت تقتضى التضحية كثيرة الحدوث والتكرر ، وأن الإحجام عن التضحية عند وجود ما يقتضيها كان — فى نظر هذه الأديان — شيئا إذا تتفطر منه السموات ، ويثير غضب الآلهة ، ويصيب نكاله جميع أفراد المجتمع الذى حدث فيه التقصير ، إذا لاحظنا هذا سهل علينا أن ندرك كيف كانت هذه العبادة، فى أقدم أشكالها، عامل إجرام ودمار ومصدر مصائب وويلات . وحسبنا دليلا على ذلك أن قبائل "الأزتك" وحدها (وهم السكان الأصليون لبلاد المكسيك) كانت إلى عهد غير بعيد تقدم من الضحايا الإنسانية ما يبلغ عدده خمسين ألفا كل عام .

غير أن ارتقاء التفكير الدينى ، وإصلاح ما علق به فى مراحله الأولى من خطأ فى فهم الآلهة وصفاتهم وما يتطلبه رضاهم، ونزعة المجتمعات إلى تنزيه معبوداتها عن القسوة والتشفى وعن الحاجة إلى ما يقدمه إليهم بنو الإنسان وجعلهم أغنياء عن العالمين ، واتساع نطاق العلوم وانتشار الشرائع السماوية والكتب المقدسة ... كل أولئك قد عمل على احترام الحياة الإنسانية ، فقضى على هذا الشكل الوحشى من التضحية واستبدل به أشكالا أخرى لا تنبو عن الخلق الصحيح ولا تتنافر مع مقتضيات العمران .

عندئذ ظهرت التضحية ببعض أنواع الحيوان كالبقر والغنم والمعز ، وببعض أنواع الطيور كالدجاج والإوز والبط .

وظهـرت أنواع أخرى من القربان لا تقتضى إهراقا للدم كالتقرب بما يستخرج من الحيوانات والتقرب بالنباتات كالحنطة وسنابل القمح والدقيق الممزوج بالزيت ، والتقرب بما يصنع من النبات كالخبز والفطير .

وقد كان لظهور الزراعة أثر كبير فى هذا التطور . فقد هذبت الزراعة كثيرا من أخلاق الإنسان وطباعه . فبفضلها كثرت كميات غذائه النباتى وقل مقدار استهلاكه من اللحوم . فزالت وحشيته واعتدل مزاجه ، وهدأت طباعه ورقت مشاعره . فاستبدل بكثير من تقاليده الدموية وعقائده الوحشية الأولى نظما أخرى أدنى إلى الإنسانية وأقرب إلى مقتضيات العمران . ولذلك أخذت القرابين الإنسانية والحيوانية تقل شيئا فشيئا بعد ظهور الزراعة ، وتحل محلها القرابين النباتية المؤلفة من سنابل الغلال والخبز والفطائر وما إلى ذلك . فأصاب غذاء الآلهة وطباعها من أسباب التهذيب والرق ما أصاب غذاء الأناسىّ وطباعهم ! .

وظهر كذلك نوع غريب من التضحية وهو التضحية الصورية كالتضحية بالتماثيل والصور الإنسانية (وقد انتشرت هذه العادة عند كثير من الأمم القديمة والحديثة) ، وكإهراق الدم من عضو من أعضاء الضحية دون القضاء على حياتها (وقد اتبع هذا النظام فى كثير من معابد قدماء الإغريق وبخاصة معبد الإلهة أرتيميس) ، وكالاكتفاء بأعمال تمثيلية تشير إلى ما كان يعمل قديما : فعند بعض قبائل الهنود الحمر مثلا كان يكتفى فى التضحية عقب وفاة الزوج ، بأن يؤتى بكومة حطب وتشعل النار فيها ، ويؤتى بزوجة المتوفى وتمد على هذه الكومة وتظل كذلك حتى يقرب اللهب منها . وكالتضحية بخيال الإنسان : فبعض شعوب البلغار ، عند ما يشرع الواحد منهم فى بناء جديد ، يترقب أول مار بجوار البناء فيقيس ظله بخيط ويضع هذا الخيط تحت أول حجر يوضع فى العمارة ، ويعتبر هذا تضحية . ويزيد لديه هذا الاعتبار قوة أنه يعتقد أن صاحب هذا الظل لا بد أن يموت عما قليل . وهذا هو أغرب أنواع التضحية ، ولا يختلف فى دلالته عن النوع السابق : فكلاهما تمثيل لتضحية إنسانية كانت متبعة قديما .

وقد اختلفت الضحايا والقرابين فيما يتعلق بأساليب تقديمها ، كما اختلفت فيما يتعلق بنوعها . غير أن أشهر هذه الأساليب وأكثرها انتشارا فى الأمم هو تقديم الضحية إلى الآلهة بإلقائها جميعا أو بعض أجزائها فى النار وانتشار الدخان المنبعث من حرقها فى أرجاء المذابح والهياكل المقدسة وتصاعد رائحتها " التى تعجب الآلهة " (كما تقول التوراة) فى طبقات الفضاء . وهذه الطريقة وحدها هى التى أقرها " العهد القديم " فى جل أنواع القرابين ، حتى فى قرابين النبات وما يصنع منه كالدقيق والفطائر ، كما تنص على ذلك الإصحاحات الأول والثانى والسادس والسابع وغيرها من سفر اللاويين الذى جاء معظم آياته وقفا على بيان أنواع الضحايا وأحكامها وأوقاتها وكيفية تقديمها . ولا غرابة فى ذلك ، فإن هذا السفر قد جاء لبيان وظائف اللاويين (أفراد قبيلة من قبائل بنى إسرائيل ، وتتألف من

أولاد لاوى أحد أبناء يعقوب) وتفصيل حقوقهم وواجباتهم نحو بقية قبائل اليهود . وأهم الوظائف التى نيطت بهم كانت تتصل بالإشراف على المذابح وأعمال التضحية وتقبل القربان وتقديمها .

ومن طرق التقديم كذلك طريقة الاكتفاء بالذبح وإهراق الدماء . وهى الطريقة التى أقرها الإسلام فى الأضحى والهدى وذبائح التكفير لإغفال نسك من مناسك الحج أو عدم التمكن من القيام به لعذر أو إحصار ونحو ذلك .

ومنها طريقة الوأد ، وهى دفن الضحية حية . وقد اتبعت هذه الطريقة عند شعوب كثيرة منها بعض قبائل العرب فى الجاهلية . فإن وأد البنات الذى انتشر بين قبائل طىء وتميم وربيعة وكندة لم يكن فى الحقيقة إلا شكلا من أشكال التضحية لأصنامهم ومعبوداتهم ، كما حققت ذلك فى مقال لى بالفرنسية نشر بمجلة L'Egyptienne (انظر عدد يوليه سنة ١٩٣٢ صفحة ٢٥ وتوابعها) .

ومنها كذلك طريقة إغراق الضحية فى الأنهار المقدسة (كما جرت العادة عند قدماء المصريين) وطريقة خنقها ، وطريقة سدّ فمها بالطين ، وطرق تعذيبها بمختلف الوسائل ، وطريقة إلقائها من شاهق ، وطريقة انتحارها عن اختيار منها بترديها من قمة عالية ... وهلم جرا .

* * *

أما المتقرب اليهم ، فباستقراء هذه العبادة عند مختلف الأمم وفى شتى الشرائع يظهر أنهم لا يكادون يتجاوزون الطوائف الآتية :

(١) الآلهة على اختلاف أنواعها مع تفاوت بينها فى مقدار الحرص على هذه العبادة . وأشدها رغبة فى القرابين النار عند المجوس والكواكب والأنهار عند عابديها .

(٢) القديسون والأولياء . وقد انتشر التقرب اليهم بالقرابين عند أمم كثيرة . ولا يزال العامة ببلاد الصعيد وغيرها من بلاد القطر المصرى ينذرون الضحايا ويقدمون الذبائح لمختلف الأولياء ، ولا سيما السيد أحمد البدوى الذى تنذر له بالقرى المصرية عجول تسمى عجول السيد تربى بعناية بالغة وينزلها الفلاحون منزلة تقرب من منزلة التقديس ويحجون بها إلى طنطا عند اقتراب مولد السيد البدوى ليذبحوها أمام ضريحه . وغنى عن البيان أن أعمالا كهذه لا تقرها شريعتنا الغراء .

(٣) أرواح الموتى. وقد انتشرت عادة التقرب للموتى بالضحايا ابتغاء مرضاتهم وخشية غضبهم على الأحياء عند طائفة كبيرة من الأمم الانسانية قديمها وحديثها ، و بخاصة قدماء المصريين. ومن الغريب أن آثار هذه العادة ظلت باقية إلى عصرنا الحاضر. فكثير من المصريين عوامهم وخواصهم فى عصرنا الحاضر يرى من الضرورى أن تذبح ضحية أوضحايا من العجول أو الخراف أو كليهما تحت نعش الميت عقب خروجه من منزله إلى حيث يوارى التراب . ومن الواضح أن هذا أثر من آثار الشرك يتعارض كل التعارض مع مبادئ ديننا الحنيف .

(٤) الملوك والزعماء السياسيون والدينيون . وقد سادت عادة التقرب اليهم بالضحايا والقرابين فى بعض الشعوب الهمجية على الأخص .

هذا وقد كان يعتقد قديما أن المتقرب اليهم يستفيدون ماديا من الضحايا والقرابين . فقد ساد الاعتقاد عند بعض الأمم أن الآلهة تنتفع فى غذائها بلحوم الأضاحى أو بلحوم بعض أعضائها . ولذلك يحرم عند هذه الأمم أكل الناس منها جميعها أو بعضها . واعتقد بعض الشعوب التى كانت تقدم الضحايا الانسانية قربانا للآلهة والموتى أن المتقرب اليهم يتخذون من هذه الضحايا عبيدا وخدما يسخرونهم فى قضاء حاجاتهم . ووصمت بعض الأمم آلهتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر إزهاق الأرواح . فكانوا يقدمون اليها الضحايا تهدئة لهذه الميول الدموية ، و إتقاء لشرها وتأمينا على حياة الجماعات .

وقد قضت ديانات التوحيد على كل هذه الأساطير ، وجعلت التضحية مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وشكره وامتثال أوامره ، والإحسان للفقراء ، والبر بالمساكين . و إلى هذا يشير قوله عز وجل " ... فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير " وقوله أيضا " لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين " .

على عبد الواحد وافى

مباهج الحياة

عنصر أصيل فى الإصلاح الاجتماعى

بقلم الأديب الأستاذ سيد قطب

هذا بحث طريف فى مباهج الحياة التى تنقص المجتمع المصرى . وقد استطاع الكاتب الفاضل أن يعين مكان الداء كما استطاع أن يصف الدواء فى رشاقة وفطنة وذكاء . ونحن نتحف قراءنا بهذا البحث الطلى الممتع الذى تغلب عليه روح الحظ والطيرة رجاء أن يجدوا فيه علاجا لحالة الكآبة العامة التى تغشى مجتمعنا المصرى "

المحرر

نحن فى حاجة الى حظ كبير من الفرح، لأننا فى حاجة الى حظ كبير من الحياة والى حظ كبير من سلامة الفطرة وصحة الشعور، وهما أكبر مقومات الحياة .

وحظنا نحن المصريين من الحياة الحقيقية ضئيل ، لأن حظنا من الفرح ومن المباهج الفردية والاجتماعية ضئيل .

وإنما يصح هذا القياس، لأن الفرح الانسانى ظاهرة نفسية وعقلية تقابل فى الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفى الطير ظاهرة السقسقة والغناء ، وفى النبات ظاهرة التفتح والازدهار، وهذه الظواهر جميعا دليل الحيوية والصحة فى الأحياء .

* * *

ولكن أى أنواع الفرح نحن فى حاجة اليه ؟

انه لا يعنينا الفرح الحيوانى الذى مظهره التهريج، ولا فرح اليأس الذى مظهره المجون . وإنما أسمينا هاتين الظاهرتين فرحا من قبيل التجوز فى التعبير . فالفرح — كما قلت — ظاهرة نفسية وعقلية . وبهذا يخرج من الحساب ذلك التهريج الظاهر فى حياتنا العامة ،

كما يخرج من الحساب ذلك المجون الظاهر فى حياتنا الفردية ، لأن عمل النفس والعقل فيهما ضئيل ، ولأنهما يختلفان فى مبعثهما اختلافا جوهريا عن مبعث الفرح الصحيح ، وينبعان من منبع أبعد ما يكون عن نبعه الرائق المعين .

ينبع الفرح الانسانى من الطلاقة والتحرر من قيود الحاجة والضرورة ، هذه القيود التى تقرب الانسان من الحيوان فى خضوعه للضرورات ، وينبعث من الشعور بالاكتفاء وبعنصر زائد عن هذا الاكتفاء ، وهو الفضلة المدخرة من القوى الداخلية فى النفس بعد أن ينفق منها الفرد أو الجماعة ما يقوم بالحاجات والضرورات .

فمن أين ينبع التهريج وينبعث المجون ؟

ينبع التهريج فى حياتنا وحياة الشعوب والأفراد من منبع الضغط على اختلاف ألوانه ، لا من منبع الحرية ، فهو ثمرة للكبت لا للطلاقة . وينبعث المجون سخطا على الحياة لا رضى عنها ، واستهانة بها لا اعتزازا بقيمتها ، واصغارا لشأن الكون لا إكبارا لما فيه من متعة أو جمال .

* * *

نحن فى حاجة اذن الى حظ من الفرح الانسانى الراقى ، لأننا فى حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والفطرة السليمة .

ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيوانى الذى يدل على سلامة البنية وصحة الشعور واكتفاء الروح . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل فى العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقى فى سلم الصحة حتى إلى مرتبة الحيوان !

* * *

والآن . ليسأل كل منا نفسه : كم مرة يضحك فى اليوم أو الأسبوع أو الشهر ضحكة مشرقة مبعثها الشعور بالفيض النفسى الزاخر وبالطلاقة الحرة والتخفف من قيود الحياة ؟

بل ليسأل نفسه : كم مرة يضحك فى اليوم أو الأسبوع أو الشهر ، ضحكة مبعثها الحيوية الجسمية والشعور براحة البدن واكتفائه وخلوه من العوائق والمنغصات ؟

ثم تعالوا ندخل البيت المصرى فى المدينة ، فماذا نحن واجدون فيه من مباهج الحياة المنزلية ، ومن مظاهر المرح المشتركة ، بل من مظاهر المشاركة الوجدانية فى أبسط صورها بين أفراد المنزل الواحد ؟

ولنذهب الى الريف الحزين المظلم الأرجاء ولنبحث عن مظاهر الفرح هناك : فى أى مكان . أنحن واجدون منها شيئا ولا سيما فى هذا الزمان . ؟

لقد كانت للريف المصرى مباهج كثيرة قبل نصف قرن ، ولقد بقى منها أثر الى ربع قرن ، وكان أهمها حفلات سباق الخيل ولعب العصا ، ومواسم الحصاد ، كما كان الريف يجد له متنفسا فى ليالى رمضان الساهرة وفى الموالد المنيرة . أما اليوم فقد طمس الفقر والإعياء على كل مظاهر الابتهاج .

ثم لننظر بعد المدى بين مباهج عيد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية عند القلة القليلة من الأجانب الحالين فى ديارنا و بين مباهج أعيادنا التى تشترك فيها الملايين ، ان صح ان هناك مباهج فى هذه الأعياد .

ولنوازن بين مباهج الحياة المنزلية فى البيوت القليلة المتناثرة بيننا للنزلاء و بين ذلك الكمد المكتوم ، والنفرة الموحشة فى أرجاء بيوتنا المصرية الكئيبة .

اننا نقضى أعيادنا على المقاهى نتطلع فى شبه ذهول للرائحات والغاديات . والعيد القومى الوحيد الذى نحاول أن نبتهج به وهو عيد الربيع "شم النسم" نهبط فيه الى الاستهتار الماجن لأننا لم نعرف بعد كيف نفرح فرح الآدميين .

ان هؤلاء الافرنج يفرحون كثيرا لأنهم يعملون كثيرا و ينتجون كثيرا و يشعرون بقيمة الحياة فيتطلعون الى مثل عليا تملأ فراغها وترفع مستواها و يحققون كثيرا من هذه المثل . . فيفرحون أما نحن فلا نفرح لأننا لا نعمل ، واذا عملنا فبغير حمية ولا إقبال ولغير ما غاية مرسومة ولا ايمان بالحياة .

وكما يصح هذا القول وذاك يصح حكمهما تماما : فهم يعملون بجد لأنهم يفرحون ، ونحن نعمل فى سأم لأننا مكتئبون .

و يوم نعرف كيف نفرح فرحا حقيقيا سنعرف كذلك كيف نعمل عملا جديا فندرك يومئذ قيمة الحياة ولذة الطموح .

لهذه الكآبة الفاشية فى مصر أسباب كثيرة أهمها : الوراثة التاريخية وسوء فهم التعاليم الدينية ، وفقدان الاستقلال حقبة طويلة ، ومحطة الاذاعة اللاسلكية ، والفقر والظلام ، واحتجاب المرأة الفاضلة عن المجتمع المصرى ، وطابع الحزن الذى يغلب على الحاننا وأغانينا والتفكك العائلى والاجتماعى ونقص وسائل التسلية .

وبعض هذه الأسباب لا حيلة لنا فيه ، ولكن بعضها من صنع أيدينا وفى استطاعتنا إزالته أو تخفيفه ، فلنأخذ فى شرح هذه الأسباب شرحا مختصرا إذ كان الحديث المفصل يستغرق رسالة مطولة ، لا فصلا فى مجلة .

* * *

الميل الى الحزن والاسترسال فيه ظاهرة بارزة فى حياة مصر القديمة ، فالتفجع على الموتى وطول مدة الحزن وشناعة مظاهره وبروز معالم الحداد ، كل هذه حالات ملموسة فى حياة أجدادنا زمن الفراعنة وقد ورثناها عنهم ولا زلنا نعلك هذه الأحزان فى الريف علكا كلما مات لنا عزيز ، ونستعين بالنادبات على إذكاء الناوحة والأسى فى النفوس ، ونبالغ فى لبس السواد ونحافظ على كل ما يذكرنا بأننا فى محزنة وفى كل ما يسبغ علينا لباس الشجن والكآبة كأننا راغبون رغبة مقصودة فى هذا الشعور .

ثم نعود الى احتفالات القدماء بالاعياد والمواسم ، والى أغانيهم فى هذه الاحتفالات ، فنرى أنهم يحرصون على تذكر الموت والموتى كلما استخفتهم عوامل الفرح أو خافوا أن يستخفهم ، فمع عظمة الاحتفال بالحياة فى "طيبة الأحياء" إبان الاعياد لم يكونوا ينسون أن يحتفلوا عقبها بالموت فى "طيبة الأموات" على الضفة الأخرى للنيل ، وهكذا كانت أناشيدهم بالفرح ، لا تخلو من شارة الموت ومن طابع الحزن .

وها نحن أولاء على ستتهم نزور موتانا فى الأعياد ونحيى أول أيام العيد بين القبور !

وما من شك أن لهذه الوراثة أثرها فى اكتئابنا الخفى الذى قد تخفيه ضحكة الاستهتار أو ضحكة التسلية التى نراها فى الوجوه فنحسبها تنبع من منبع الفرح الأصيل .

ولكنا أسوأ حالا من القدماء ، فقد كان لهم من العزة القومية ومن قوة النشوء ما يجعل فرحهم واو فى ساعات قصيرة فرحا حقيقيا ، أما نحن فقد ورثنا الكآبة ولم نرث الشق الآخر فى حياة القدماء .

* * *

ومصر الاسلامية التى قامت على مصر الفرعونية لم تنس أديانها وتقاليدها القديمة وقد اندس الكثير من القديم فى الجديد وضاع فى طياته ، ولكنه ترك أثرا بارزا ، ومن هنا أسأنا فهم بعض التعاليم الدينية الاسلامية متأثرين بطبيعتنا الأصلية واخترنا منها ما يناسب هوى هذه الطبيعة ، مغفلين الجانب الآخر من تلك التعاليم .

فالدين فى وهمنا لا يناسب المرح والبهجة ، ولا يتفق مع الاحتفال بالحياة والتهيؤ لها والاعتداد بها . ولكننا لا نلق بالا الى قول القرآن " ولا تنس نصيبك من الدنيا " وقوله " يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد " .

وما كان للقرآن ، وهو دستور اجتماعى للحياة أولا وقبل كل شىء ؛ أن يغفل مثل هذه الدعوة إلى التمتع بالحياة والاحتفال بزينتها بجانب دعوته إلى عدم الاسراف فى الاعتداد بها . لأن أهم ظاهرة فى الاسلام هى الاعتدال والموازنة بين العناصر المختلفة الضرورية للحياة الفاضلة .

على أن الإسلام ليس دينا جامدا ، إنما هو دين مرن يحتمل السير به فى مختلف الأحوال . فاذا كان هذا الدين فى نشأته قد واجه قوما يعتزون بآبائهم واجدادهم و يتفاخرون بأموالهم ووجاهتهم فأصغر من شأن هذه المظاهر ، ودعا دعوته إلى تصغير الحياة الدنيا ليوجد الاعتدال والاتزان فى نفوسهم ، و يهيئها للخير والهدى الذى جاءهم به فنحن اليوم فى دور قد استهنا فيه بالحياة وأصغرنا قيمتها ، فأصبحنا بحاجة إلى قسط كبير من احترامها لنرتفع بها عن مستوى الاستهتار الذى نلج فيه ، ولنقوى أنفسنا فى عصر القوة و إلا فماذا يدعونا إلى العمل والجهد إذا احتقرنا الحياة واستصغرنا شأنها ؟

وهذه تبعة ثقيلة ملقاة على عاتق رجال الدين وعلى الوعاظ منهم بشكل خاص ، فساهم يغيرون نغمة الأسى المصطنع ، و ينسون مؤقتا ازدراء الحياة والحط من شأنها فى هذه الظروف .

ومتى أحببنا الحياة واحترمناها وجدنا فى نفوسنا عناصر كثيرة للفرح الانسانى الأصيل .

* *

ولم تكن الوراثة التاريخية والتقاليد لتترك مثل هذا الأثر العميق فى نفوسنا ؛ لو لم تهن الحياة علينا لسببين أساسيين ، هما فقدان الاستقلال ردحا طويلا من الزمان ، وسوء الحكم الذى ترتب على هذا الفقدان . فلقد كان الأول آفة العزة القومية ، وكان الثانى آفة العزة الفردية ، ومتى ساب الانسان نعمة الشعور بهاتين العزتين فقد ساب نعمة الحياة الطليقة وانحط مستواه النفسى إلى ما يقرب من عالم الحيوان .

ومتى قلنا إن الفرح الانسانى ينبع من الطلاقة والتحرر من القيود ، أدركنا ما يبقى للمصرى من هذا الفرح بعد أن يذكر أنه فقد احترامه الدولى واحترامه الفردى حقبا طويلا من الزمان . وقد نبعت النكتة المصرية المشهورة من منبع الكبت والضغط ، للتنفيس والترويح عن النفس المكبوتة من كل جانب ، وكانت فى أحيان كثيرة نوعا من المقاومة للحكام ، إذ كان الشعب المغلوب على أمره يتسلى بتوجيه النكات إلى حكامه ، ويرضى نفسه بعض الارضاء بهذه المقاومة المأمونة .

فليست النكتة المصرية إذن إلا مظهرا للكمد المكتوم لا للفرح الطليق .

والآن وقد زال هذان السببان — والحمد لله — فيجب أن نجتهد فى تمكين الاعتزاز بالاستقلال والحرية الشخصية ما استطعنا ، لنستطيع أن نحيى هذه النفوس الذابلة ، ونطلقها تمرح مرح الأحرار من الآدميين .

* * *

ولقد ساعد هذه العوامل المتقدمة ومكن لها عامل آخر أشمل منها جميعا ذلك هو الفقر الذى ينوء به كاهل ثمانين فى المائة على الأقل من أفراد الشعب ولن يجتمع الفقر والفرح رغم كل ما يحاول الشعراء أن يتخيلوه من سعادة فى حياة الفقراء .

الفقر كمد وحزن ومدعاة إلى الكمد والحزن . هذه حقيقة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، ولن يستطيع الفقير أن يخلو إلى الفرح وهو جائع مريض مكدود ، فالحيوان نفسه لا يرتع أو يقفز وبطنه خواء .

فكل محاولة لإغناء هذا الشعب ومقاومة حدة هذا الفقر الاسود الذى يغشاه هى محاولة فى بث عوامل الفرح فى النفوس ومقاومة هذه الكآبة الغاشية .

وتتصل بالفقر فى الريف أو تنشأ عنه ظاهرة الظلام . فالانارة فى القرية المصرية ضعيفة جدا أو هى فى حكم العدم سواء فى المنازل أو الطرقات ، إذ تخيم الظلمة الحالكة منذ غروب الشمس ، بل تسدل حجابها على كثير من المنازل قبل غروبها نظرا لقلة النوافذ فى هذه الكهوف التى يأوى اليها الأحياء كالأموات .

وقد لا يلتفت الكثيرون إلى علاقة النور بالحالات النفسية ؛ ولكن العلاقة مع هذا أوضح من أن تذكر ، فالنور من الناحية الفيسيولوجية ينبه خلايا الجسم وينشطه ، والضحك ظاهرة من ظواهر النشاط النفسى والجسدى بطبيعة الحال .

هذه الظلمة التى تخيم على الريف تحمل فى طياتها الكآبة وشعور الانقباض والانكماش ، فإذا انفرجت قليلا فى أيام رمضان وفى الموالد والأفراح التى يكثر فيها النور وتوقد المصابيح الكبيرة ، انطلق الأطفال يتنقلون فى القرية وانفرجت أسارير هم ، وتغيرت حالتهم النفسية تغيرا محسوسا .

فلتحاول الحكومة أن تنشر النور فى القرية وأن تبدد هذه الظلمة قدر ما تستطيع بوضع مصابيح البترول الكبيرة فى الشوارع . وكل مبلغ تنفقه فى هذا السبيل لن يضيع هباء ، لأنه سيدخل السرور والنشاط على نفوس الملايين .

ومامن شك فى أن الحكومة تعلم أن هذا النور يقلل من الجرائم و يعوضها اضعاف ماستنفقه من قروش .

* * *

وسيعجب الكثيرون — ولعلهم سيضحكون أيضا — حين اقول لهم أن محطة الإذاعة اللاسلكية جاءت سببا من أسباب الغم والكآبة فى الحياة المصرية ؛ فأنا أفسر لهم هذا اللغز العجيب .

كان لاحتجاب المرأة أثره فى الأغانى والموسيقى المصرية . وكان أثرا سيئا ولا ريب ، فقد عادت الموسيقى وعاد الغناء ترديدا لصوت الغريزة الحبيس ، ونداء للحس المكبوت . و ياليته بقى نداء الحيوان السليم للحيوان السليم ، بل انحط الى درجة النداء الجنسى المريض المهزول المصطنع الذى ينقصه حتى جمال الصدق فى تصوير غريزة الحيوان السليم .

وكان هذا الشر قاصرا على حفلات الغناء ، وعلى الاسطوانات يذيعها الحاكى فى دائرة ضيقة ، فلما أنشئت محطة الإذاعة وصل النداء الى كل بيت وكل سمع ، وتعالت أنات المرضى التى يذيعها المطربون وتذيعها المطربات فوصلت الى كل حجرة وكل أذن ، وتغنى بها الجميع فزادتهم مرضا على ماهم فيه من توعك واضمحلال .

ليس لدينا قطعة موسيقية واحدة ولا أغنية مصرية واحدة حتى اليوم تحمل طابع الصحة وترتفع عن نداء الجنس المريض .

وأكثر من ذلك أنه ليس لدينا حنجرة واحدة مستعدة لإخراج نبرة الفرح أو نبرة النشاط والصحة إذا عزت علينا نبرة السمو والتحليق ، ولم يبق عندنا من المغنين من يصلح لترديد نغمة واحدة من نغمات الإحساس السليم . وطالما شكونا التأليف والتلحين ، ولكننا لم نلتفت الى ظاهرة عجيبة فى أصوات مطربينا ومطرباتنا وهى أن حناجرهم وحناجرهن لم تعد صالحة إلا لإخراج النبرة الكئيبة والصوت الحزين .

وأشد مالاحظت هذا فى الأغانى الوطنية التى رجت فى هذه الأيام ، وفى أناشيد أفراح الزفاف الملكية وأناشيد الأعياد . فالألفاظ والمعانى فى الأولى قوية صاخبة ، وفى الثانية ضاحكة باسمة ، ولكنها خرجت من حناجر المطربين والمطربات ميتة هامدة حزينة ، تقطر منها الدموع وتشيع فيها الأنات ويطل منها الوجع الدفين .

وهذه نكبة على روح الفرح والبشر لأن الموسيقى والغناء يفعلان فى الكيان النفسى مالا تفعله جميع التعاليم .

* * *

وننتقل الآن الى سبب كامن فى بيوتنا ومجتمعاتنا ، ذلك هو التفكك الملحوظ بين أفراد الأسرة الواحدة وبين أفراد الأمة كلها . وساعة واحدة يقضيها المرء فى بيت افرنجى يراقب عواطف الحب والمودة الواضحة بين أفراد البيت الواحد ، ويلاحظ مظاهر المشاركة الوجدانية واجتهاد كل فرد أن يدخل السرور على نفوس الآخرين بحكاية أو لعبة أو حركة ساعة واحدة تكفيه لإدراك ماقد حرمنا منه فى بيوتنا . هذه البيوت المتفرقة الأجزاء المفككة الأوصال التى يهرب الكثيرون منها الى القهوة والنادى هروب اليائسين .

فإذا عدونا البيت الى المجتمع راعنا ذلك الانحلال وهذا التفلت من الأواصر الاجتماعية وظهور الأحاسيس الفردية على أحاسيس الجماعة . ولست أرى أن هذه مشكلة سهلة الحل فليحاول كل فرد منا أن يكون مبشرا فى بيته بتعاليم الأسرة الجديدة ؛ ولنختلط بالأفرنج مااستطعنا ، ولنقرأ ما كتب فى لغاتهم من وصف للبيت الافرنجى ومباهجه ، ثم لنحاول فى صبر طويل محاكاتهم فى إحياء بيوتنا وبث روح الفرح والنشاط والبهجة بين جدرانها ، ولعلنا نوفق بعد عمر طويل .

ومامن شك أن وسائل التسلية فى المجتمع منقوصة نقصانها فى البيت ، وما دمنا فى طور نعتمد على الحكومة فيه اعتمادا كبيرا ، فلتحاول الحكومة ممثلة فى وزارة الشؤون الاجتماعية أن تخلق وتنظم كثيرا من المواسم والمهرجانات الفرحة النشيطة . ولتضف الى الاحتفال بالمولد والمحمل ووفاء النيل الاحتفال بمواسم أخرى ، فلتحتفل بعيد الربيع (شم النسيم) وبموسم الحصاد ، وموسم جمع القطن على مثال ما تصنع بعض الممالك الأوربية . ولتقم مسابقات كثيرة للزوارق ومعارض الزهور .

ولتقم الى جانب وزارة الشؤون الاجتماعية هيئات أخرى و لجان تجعل من همها الإكثار من المباهج الاجتماعية والتجديد فيها والابتكار فى كل مناسبة من مناسبات العام . حيث يتاح الاشتراك فيها لأكبر عدد ممكن من الشعب المحروم .

ولنذكر دائما أن كل ابتسامة ترف على الشفاه ، وكل ضحكة ترن بها الحناجر ، إنما هى قطرات من الدم النقى فى عروق الأمة وصيحات الى العمل المنتج ودعوات الى السمو والطموح .

سيد قطب

— الحق كبير فلا تصغروه بالصغائر .

— الأمية شلل الأمم ، الناس معها مقعدون و إن خيل إليك أنهم يعدون .

— اعتراف الخاطئات استبسال ، وفرار من الاسترسال ، فانتشلوهن بعفوكم وأحيطوا ضعفهن من حلمكم بقوة .

— خف اليائس فإنه لايخاف .

— الخير فيه ثوابه و إن أبطأ ، والشر فيه عقابه وقلما أخطأ .

— أبى الله أن يتساوى عباده إلا فى النوم والموت .

— الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .

— لاسلطان على الذوق فيما يحب و يكره .

— أصدقاء السياسة أعداء عند الرياسة .

— اخدع من شئت إلا التاريخ .

" من أسواق الذهب لشوقى "

مشاهدات وملاحظات

للدكتور أحمد ضيف

الأستاذ بالجامعة المصرية

ربما كان المصرى من أشد الناس نقدا لبلده وقومه ، وأكثرهم دعاية لنشر عيوبه وعيوب أهله ، حتى لقد يحسب ذلك من المسائل العادية التى لا يخلو منها مجلس من مجالسنا ولا مسامرة من مسامراتنا . بل أصبحنا لا نرى فينا غير عيوب منبثة فى عاداتنا وأخلاقنا ونظمنا الاجتماعية : فى الأسر وفى المجتمعات ، وفى البيوت والشوارع ، وفى الجد والهزل ، وفى ثقافتنا وتربيتنا العقلية والعامية والنظامية وفى كل شىء يصدر عنا أو يحيط بنا . وقد عرف المصرى بهذا العقل التهكمى الذى يقلب الجد هزلا والهزل جدا لرغبته أو لميله الى التسلية وبث السرور فى نفسه ليدفع عنها ما بها من آلام وسأم . وكان ذلك أكثر ما يكون انتشاره بين العامة ليقطعون به الوقت لكثرة ما لديهم من فراغ أو لكثرة ما يعتورهم من ملل .

وقد سرت عدوى هذا الخلق الى الخاصة منا بشكل جدى ، الغرض منه توجيه النظر الى ما فينا من عيوب اجتماعية للعمل على إصلاحها وأصبحنا نحن المتعلمين أكثر الناس تحدثا عن عيوبنا فى مجالسنا ومجتمعاتنا .

ومن الغريب أنك تسمع كل إنسان يتألم مما يراه ذائعا من هذه العادات التى يستنكرها هو ويرمى غيره بالخمول والتقصير . ولا نكاد نجد ثمرة لهذا الروح النقدى الذى صار عادة لنا الآن غير كثرة الأحاديث وإعادة ما نقوله فى كل مجلس ومجتمع وكأنما ينتظر كل منا أن يعمل غيره على إصلاح هذه العيوب ، أو يضع تبعة ذلك على أولى الأمر ويتكل عليهم كل الاتكال .

ولكن برغم ذلك نرى حركات اجتماعية تدعو الى العمل ونرى جماعات تنظم وتعمل على إصلاح بعض العيوب الشائعة فينا ، غير أن أعمالها تسير ببطء شديد .

لذلك نرى مظاهر هذه العيوب لا تتغير فى جملتها عما كانت عليه من سنوات فى جمهور الشعب . على حين أننا نرى الاصلاح يبدو فى بعض الأسر والأفراد الذين خرجوا من تلك الأنظمة القديمة سواء أكان ذلك فى نظام الأسر كالمسكن والمأكل والمشرب ، أم فى نظام الأفراد فى هيئاتهم وتغيير عاداتهم ، وهذا يدل على ذلك الخلق الكامن فينا وهو اشتغال الانسان بنفسه والعناية بها قبل المجموع . وأننا نتألم مما نراه فى مظاهرنا الخارجية ومظاهر الشعب فى جملته ، وذلك لأن مظاهر أمة من الأمم هى التى تدل على أخلاقها وعلى قوة التفكير الكامنة فيها وتدل بخاصة على ما لها من كرامة واحترام فى نفوس غيرها .

فلو أنك شاهدت رجلا قذرا عرفت أنه لا يعنى بنفسه ، ودعاك ذلك الى عدم احترامك إياه ، وهذا ما نشاهده منبثا فى جمهور الشعب المصرى . سر حيث شئت فى أى طريق من طرق القاهرة وفى أى حى من أحيائها العظيمة أو الحقيرة وانظر الى أفراد الشعب فإنه لا يقع نظرك إلا على شىء لا ترضاه لنفسك ولا لقومك ، ولعلنا اعتدنا هذه المناظر وهذه العادات فصرنا لا نشمئز منها كثيرا .

ولكن الذى يرى ذلك فى صورة مكبرة هو الأجنبى الذى يجىء لزيارة بلادنا . يرى أمة متفرقة فى زيها وعاداتها وثقافتها . يرى الأمة طبقات مختلفة فى كل شىء وهذا الاختلاف ليس محصورا فى اختلاف الطبقات كالعامة والخاصة وكطبقة التجار وطبقة العمال ، بل يجد أفراد كل طبقة يختلف بعضهم عن بعض . فطبقة العمال أو الباعة المتجولين يختلف بعضهم عن بعض فى ملابسهم وعاداتهم ، فهذا يلبس لباسا غير ذاك ، ويتكلم بلهجة غير ما يتكلم به زميله ولكن يجمعهم شىء واحد هو عدم النظام وقذارة هيئتهم وسوء حالتهم فى ملابسهم وما كلهم ومسكنهم . وهذا يدل على أنه ليس لنا شعار قومى ولا وحدة قومية .

فبهذه المظاهر يحكم علينا غيرنا ، يحكم على عقليتنا وعلى تفكيرنا وعلى ذوقنا وعلى عقائدنا بما يراه فى ملبسنا ومأكلنا ومسكننا وحركاتنا فى القيام والجلوس وأحاديثنا فى المجالس والمحافل ومعاملاتنا لأنفسنا أو لغيرنا مما يخرج عن مقياس الذوق المعروف لدى الأمم المتحضرة ، ويدل على أننا لا نزال فى سذاجة فى كل شأن من شؤون حياتنا ، بل على إننا فى وقوف بل فى تقهقر رغم الأيام التى تمر بنا والدروس التى نتلقاها ورغم ما نشاهده لدى الأمم الأخرى التى نراها ونعاشرها .

وذلك لأن مظاهرنا تدعو الى الريبة فى صلاحية تربيتنا وفى إدراكنا للحياة وللحضارة ، والمثل يقول : " الكتاب يعرف من عنوانه " . والحق أنك اذا رأيت رجلا لا يعنى بملبسه ولا بشكله ولا بنظام عيشته حكمت بأن عقله ناقص وذوقه ناقص وادراكه للحياة ومعانيها ناقص أيضا .

فالذى يجب أن ندعو اليه قبل كل شيء هو تنظيم حياتنا الاجتماعية أو إصلاح مظاهرنا فى الخارج والداخل : فى ملابسنا ومآكلنا ومساكننا ، وفى آدابنا فى المحادثة ، وفى بيعنا وشرائنا وفى إفهام الشعب أو العامة أن الأمة لاتحترم إلا اذا كان مظهرها يدل على احترامها لنفسها .

تقدم إلىّ بالرجاء أحد اصدقائى النزلاء بأن أرافق بعض أقاربه الذين جاءوا من باريس لزيارة بعض الأحياء الوطنية فى القاهرة ، فرافقت هؤلاء الى حى الغورية والأزهر . واخترقنا حى التربيعة ، وكان من بينهم شيخ ممتلئ الجسم حاد النظر ، حاد الإدراك ، لايكاد يمر بشيء إلا حقق النظر فيه وإدرك خفيه ، ومعه زوجته وهى شيخة أيضا حسنة الزى دقيقة الادراك يظهر أنها تحب الجمال فى كل شيء .

مررنا برجل يدق بعض التوابل فى هاون من الحجر الصوان ، وهو رث الثياب يحمل على جسمه جلبابا ممزقا يظهر أعضاءه النحيفة ، حافى القدمين يتصبب عرقا ، يحمل مدقا من الحديد الثقيل وهو يرفعه ويخفضه ، وكلما رفعه أوخفضه شهق شهقة كأنها شهقة الموت والعرق يسيل من كل جسمه .

فنظرت السيدة اليه ثم رجعت النظر الىّ وقالت : ماذا يعمل هذا الرجل . قلت : يدق بعض التوابل . فقالت ؟ ياله من بائس قذر .

وصعدت معهما فى سلم قبة الغورى ليريا باب القبة العجيب الصنع ، فلما وصلنا الى مصعد الباب رأيت الشيخ وقف قليلا وأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى . فقلت له : ماذا؟ فلم يجبنى وانما نظر إلى قدمه فى تردد وحيرة ، فنظرت معه اليها وإذا حذاؤه قد انغمس فى..... فأحمر وجهى خجلا منه عند ماسمعته يقول لى : أليس بهذا المكان خادم يزيل مابهذا الباب الجميل من أوساخ ؟ فالتفت ورائى وقلت مشيرا إلى مسجد الغورى من الناحية الأخرى : وهذا أيضا باب جميل . فالتفت وضحك وعرف أنى فررت من الاجابة على سؤاله .

ثم أليس من المخجل لأمة من الأمم أن تغص شوارعها بل مدنها بأبناء السبيل القذرين المشوهين الذين لايفترقون عن الحيوان إلا بالكلام ؟

وأليس من المخجل لنا أن نرى فى كل مكان أقذارا وأوساخا وأناسا أزياؤهم منوعة بشعة المنظر ، تدل على الفرقة بين أفراد الجمهور وعلى أنه ليس لنا طابع قومى فى شيء ؟

وأليس من المخجل أن نرى بائع الطعام المتجول فى الطرق أمام أعيننا وأعين غيرنا قذرا ، حافى القدمين تجتمع جيوش الذباب على مايحمل فوق رأسه من خبز ولحم وغيره مما تنفر منه النفس ؟

وأليس من المعيب أن نرى بائع الشراب على هذه الحال المؤلمة التى تحملنا على الخجل من أنفسنا ؟ وأليس من الشنار لأمة سائرة فى سبيل الحضارة مثلنا أن نرى بائعى الحلوى والفاكهة جالسين فى الطرق على أفاريزها فى حالة تدل على عدم العناية بأنفسهم وبما يقدمون للجمهور من ما كل ومشرب وقد تراكمت الأقذار والاتربة والذباب وهم جالسون مطمئنون فوق الثرى كأنهم فى بيوتهم أوفى أمكنتهم الخاصة .

دع هذا وذاك ومر بباب الخلق وانظر الى الشعب هنالك من جالس أو واقف ينتظر الترام ثم عرج على دار محكمة الاستئناف وادخل فى ساحتها وقل لى ماذا ترى ؟

ترى رجالا كبارا وصغارا من أصحاب القضايا القرويين جالسين على سلم المحكمة يبصقون حولهم ويتمخطون، ثم تقدم خطوة أو خطوتين وادخل ساحة هذه الدار ترى نساء جالسات متربعات على بلاط البهو وحولهن أولادهن يتبولون ويفعلون أكثر ذلك، والداخل أو الخارج ينظر الى آثار هذه الأعمال ، والشرطى واقف على رءوس الجالسين لاينبس بكلمة ؟

المنظر مؤلم والناس غافلون لاهون لهم عيون ولكن لايرون بها ، وأنوف ولكن لايشمون بها ، فمن لهذه الحال السيئة غير وزارة الشؤون الاجتماعية تجرد عليها حملة قوية من الدعاة والوعاظ والمرشدين والجنود الاجتماعيين يبصرون الناس بما هم فيه ويلفتونهم الى ما ينبغى أن يكونوا عليه ، ويظلون بهم فى المساجد والمجتمعات والشوارع ينصحونهم ويعظونهم حتى يغيروا ما بهم ويستبدلوا بحالتهم حالة أصون لكرامتهم الانسانية ولسمعتهم القومية . وليس ذلك بعزيز على الوزارة الناشئة التى نرجو لها كل الخير والتوفيق .

أحمد ضيف

أثر المرأة

فى توجيه الرجل

بقلم الآنسة سهير القلماوى

طلب الى رئيس تحرير هذه المجلة أن أحدث قراءها فى هذا الموضوع الذى اختاره هو فهو اذن يتحمل تبعة هذا العنوان. ولقد احترت أول الأمر فيما أقول فيه وأنا لم آلف أن أتحدث أو أشارك فى حديث حول المفاضلة بين الجنسين. وكنت دائما لا أستسيغ هذا النقاش ولا أجده أكثر من كلام لا طائل تحته . ولكن يخيل الى أن رئيس التحرير لا يريد بهذا الموضوع شيئا ألفنا أن نسمعه مما يثار حول الجنسين من مفاضلات ، وانما هو موضوع يؤيد ظواهر ثابتة فى الحياة لا يجد أى من الجنسين غضاضة فى الاعتراف بها . وهو لذلك يثير فى نفسى مسألة هامة لا يكفى فيها التفكير وإنما هى تتطلب العمل السريع الحاسم .

المرأة فى الحياة تمثل المعنى والعاطفة، هى البيت الذى تسكن اليه الأسرة، هى الأم وهى الزوج، هى المحيط الذى يحس الرجل فيه أنه انسان يحيا لا إنسان يعمل ، هى البوتقة التى تصهر فيها أفراد الجيل الجديد. لذلك كان لها الأثر الذى لا حد له فى تكوين الأمم .

هذه حقائق من العبث مجادلتها أو الاستمرار فى وصفها ، والأفضل من هذا أن نسائل أنفسنا: الى أى حد تقوم المصرية بهذا الدور، وما آثارها، وما هى السبل التى تمكنها من أن تقوم به على الوجه الأكمل ؟

ليس هناك شك أننا اذا تكلمنا عن المصرية كان كلامنا محتاجا الى تحديد . فكلمة المصرية علام تدل ؟ هى تنصب على الفلاحة التى تعيش لاصقة بالارض وتسير على سنن الطبيعة التى سار عليها الانسان فى فجر التاريخ مع شىء طفيف من التغيير ، وهى تنصب على المتعلمة المدنية التى بلغت من الثقافة والتهذيب ما بلغته أختها فى أرقى الامم الغربية، وهى بعد تنصب على كل من تقع بين هذين الطرفين من حيث التعليم والتهذيب مع تباين هذه الدرجات وما يجره تباينها من خير أو شر .

نلاحظ اذن لأول وهلة أن البون شاسع وأن الاختلافات كبيرة جدا بين مدلولات هذه الكلمة . وهذا من الناحية القومية شيء هام انتج آثارا هامة نشق بها أى شقاء .

هذا التباين أوجد عندنا أنواعا متعددة من المصريات ليس بينهن صفة مشتركة تدل على أنهن ينمن من وطن واحد و يردن مثلا أعلى واحدا . ليس عندنا بعبارة أخرى نموذج معين نستدل به على مصرية المصرية . فهذه التى أسرفت فى تقليد المدنية الغربية عن سوء فهم وسوء تمثيل لما تعلمت ، وهذه التى لا تفترق عن الحيوان الا فى القليل من عواطفها ، هذه وتلك مدلول لكلمة واحدة ، وهذه وتلك لا تلتقيان عند شيء بل لا تكادان تتفاهمان .

ولما كان البيت من صنع المرأة ولما كانت المرأة لا تستطيع أن تخلق من بيتها الا ما يلائمها فقد خرجت بيوتنا المصرية معرضا لشتى أنواع البيوت ليس بينها شيء مشترك ، وهى لا تدل على شيء يمكن أن نسميه الشخصية المصرية ، ولذلك أيضا فقدنا وحدة الأثر المنزلى فى تكوين المصريين فاصبحت هوة الاختلاف عميقة بين أفراد الأمه الواحدة ، لان الفرد يتكون فى البيت قبل أن يتكون فى أى مكان آخر .

أين يلتقى الطفل الذى ربى فى بيت أسرفت ربته فى الأخذ بأسباب المدنية ، والطفل الذى ربى فى الريف فى بيت أسرفت ربته فى الحيوانية والجهل ، وهذا وذاك سيلتقيان وسيوجدان جنبا الى جنب فى أعمال الدولة وميكون بينهما ما نجد الآن مما هو من أخص صفات أعمال أمتنا وهو التعطيل والتأجيل بسبب تباين الآراء واتساع هوة الخلاف الذى لا يمكن أن تلتقى بسببه وجهات النظر ، والذى ينهى الأمر حتما الى نقاش يخرج منه بإيثار العافية وتأجيل العمل أو يخرج منه بتقرير شيء اليوم يمحى هو نفسه فى الغد .

و ياليت الخطر على فداحته اقتصر على ما تخرجه البيوت المصرية ، ولكن يجب أن نضيف الى هذا أن المصرى يخرج من بيته ولا شخصية له ، ويتعلم فى مدارس يقوم بتنفيذ برامجها التى تتجدد وتتغير ، مربون منبا ينون فى شخصياتهم إن كانت لهم شخصيات ، ثم يشاء سوء الطالع أن نكون مفتقرين الى ما عند غيرنا من الأمم من أسباب الرقى ، فنرسل هذا المصرى ليقتبس من هذه الحضارات ما يفيد و يعين ، فينزل فى فرنسا أو انجلترا فاذا افراد اقوياء لست أبالغ فى قول كلهم وإنما أنصف فاقول اكثرهم ، فتؤثر فيه آثارا مختلفة ، ويحمل هذه الآثار وهو غير مستعد لها ولا قادر على غربلتها وإخراجها فاذا هو على حد تشبيه القرآن الكريم « كالحمار يحمل أسفارا » و يعود الى وطنه مسخا انجليزيا أو فرنسيا قد بهر وقلد ، ولم يزد على أنه بهر وقلد القشور الشاذة . ثم يسخط على بيته ووطنه وليس عنده من القوة ما يساعده على تغيير ما يسخط عليه ويتزوج

مصرية أو أجنبية فتعود المأساة تتكرر من جديد فى بيت جديد أن اسرفنا فى حسن الظن فهو بيت مصرى لا مصرية له . وقد يكون هذا المصرى ممن تخصصوا فى التعليم أو التربية فلا يحصر ضرره فى الديوان والبيت وإنما يمتد إلى الآلاف من التلاميذ أيضا .

هذا هو الداء الخطير ، وقد برعنا فى وصف الأدواء عادة فما هو العلاج وليس أمره سهل الوصف. الأمر فى ظاهره كالحلقة المفرغة : هذا يعتمد على ذاك وذاك يعتمد على هذا ، الجيل المستقبل يريد جيلا حاضرا سليما من هذا الداء ليكونه ، والجيل الحاضر كان يريد جيلا ماضيا سليما من الداء ليكونه . ولو صح هذا المنطق لما كان هناك اصلاح فى التاريخ وإنما الذى لا شك فيه أن قوما يحسون الداء وأن قوما سلموا من هذا الداء وأن قوما ممن أحسوا وسلموا ستتاح لهم فرصة العمل إن سعوا اليها وهم لاشك واصلون ، وهؤلاء وحدهم هم القادرون على العمل بشرط أن يؤمنوا أن أشرف ما يضيع الانسان فيه حياته هو أن يشقى ليسعد من بعده . ولا شك أن عقبة هامة ستقوم فى وجه هؤلاء هى آثار هذا الداء والمصابون به ممن سيضطرون الى العمل معهم ولكن تلك العقبة تتغلب عليها ما دمنا مخلصين وما دمنا ولاشك نتفق على أسس بعينها ، فلنبدأ بهذه الأسس مبسطة من الآن ولا نهجم على الكمال فنعجز ونقعد .

المصرية لها تاريخ طويل مجيد لاشك أنها لا تعرفه ولا شك أنها يجب أن تعرفه. والمصرية لها بلاد تنفرد بطبيعتها وجغرافيتها ، وهى لا تعرف عن هذه البلاد شيئا ، وهى مطالبة ولا شك بأن تعرف عنها كل شىء . والمصرية لها لغة وأدب وفن تجهلها جهلا يكاد تاما وهى مطالبة بأن تعرف عنها مقدارا لا يمكن أن تستغنى عنه .

هذه أشياء يجب أن تبسط لتتعلمها المصرية قبل أن تعرف حرفا واحدا عن غير مصر. ولست أدرى لماذا لا يضير الانجليزية العادية أن تجهل موقع مصر من العالم و يضير المصرية ألا تعرف أن لندن عاصمة بريطانيا . ولماذا لا يضير الفرنسية العادية ألا تعرف شيئا حتى عن وجود لغة عربية يتكلمها أهل مصر و يضير المصرية ألا تفهم الفرنسية وهكذا .

والمصرية قبل كل شىء وفوق كل شىء لها دين ينظم عبادتها و ينظم علاقتها بالناس الى حد بعيد وهى تجهل ولا شك هذا الدين وهى مطالبة بأن تعرف دقائقه وأن تعمل بتعاليمه منذ صباها. والمصرية لها تقاليد ومقاييس تقيس بها قيم الناس والأشياء وهذه ولاشك تجهلها أو تتجاهلها ، وهى ولا شك قوام شخصيتها فى المحافظة عليها وجودها ، وفى الاستهانة بها تخبطها بين الوجود والعدم .

والمصرية لها طقس ومناخ، ولها تكوين جثمانى خاص، وهذه تتطلب معلومات معينة للعناية بأهل بيتها العناية الأولية التى لا بد منها فى الصحة والمرض ، وهـذه يمكن أن تبسط وأن تتعلم بمنتهى اليسر فى وقت سريع .

من هـذه المواد الأساسية التى لا يمكن أن يكون فيها خلاف أو جدال يمكن أن يوضع برنامج متحد متماسك بسيط قوى فى بساطته يمكن أن ينفذ فى عامين مثلا . ويفرض هـذا البرنامج كالخدمة العسكرية الاجبارية لا على المصريين فحسب وإنمـا على المصريات من أى سن ومن أية طبقة حتى نستطيع أن نكون أكبر عدد من البيوت المصرية فى أسرع وقت . يفرض فى المدرسة على المتعلمة، ويفرض أحاديث يتحدث بها الى غير المتعلمة حتى تنال حقها من التعليم .

وبهذا ، وبهـذا وحده يمكن أن نضمن سريعا بيوتا لست أقول مثالية وإنمـا أقول مصرية على الأقل تباشر فيها المصرية أثرها القوى فى الرجل والأبناء . وبهذا وبهـذا وحده يمكن إيجاد نقط أساسية يلتقى عندها المصريون جميعا فتخف وطأة النقاش بين المصريين وتضيق دائرة الخلاف ، فلا تتعطل دفة العمل ولا تتعثر عند أولى الخطوات فى بلد هى أحوج ما تكون الى العمل السريع .

سهير القلماوى

آفة النصح أن يكون جدالا ، وأذاه أن يكون جهارا .

حب القلوب يزول ، ويبقى حب العقول .

تحسن المرأة نصف عليمة ، ويقبح الرجل نصف جاهل .

زواج العشق ورد ساعة ، وزواج المـال ورد صناعة ، والبركة فى زواج موفق يكون لعمارة البلد وفى سبيل الولد .

شوقى

الفضائل القومية

وكيف نفهمها

بقلم الأستاذ أحمد رمزى بك عضو مجلس الشيوخ

الأمم بفضائلها . فهى لا تسمو الا بالأخلاق القويمة يتحلى بها الأفراد ولا يتخلون عنها فى الشدة والرخاء، أو فى العلانية والسر. فهى هى فى الغنى والفقر ، وفى الحرب والسلم ، وفى الرضى والغضب. وأقومها ما ظهر فى أوقات الشدة ، وخيرها ما انصرف الى خير الوطن ومصلحة الجماعة .

والفضائل درجات أدناها الكف عن الرذيلة. ويدخل فيها زهدك فى مال غيرك ويسمونه فى هذه الأيام " بالنزاهة " يخصونها بالمال . فان أقل ما ينتظر الناس من أحدهم ألا يسرق مالهم ولا يختلسه ولا يأخذه رشوة إن كان موظفا .

ومن عجب أن يشيع بين الناس أن "النزاهة" صفة يتفاضل بها بعضهم على بعض ، مع أن الانسان لا يستحق أن يتمتع بمرتبة الانسانية اذا كان لصا . فكيف يعد هذا الجيل من المفاخر الاتصاف "بالنزاهة" حتى الوزير اذا مدحوه قالوا إنه " نزيه" يريدون أنه لا يسرق كأن الأصل فى عموم الناس أو فى عموم الوزراء أن يكونوا سراقا ، فاذا كان منهم عفيف فهو المفرد العلم الذى يشار اليه بالبنان ويعرف بهذه الصفة بين القوم . وهم لو علموا لرأوا فى هذا القول انتقاصا شنيعا للأمة التى ينسب اليها هذا الممدوح وتجريحا للمدوح نفسه بأن أظهر صفاته أنه عفيف لا يسرق أو صادق لا يكذب وهكذا .

ومثل ذلك أن يقال فلان "ظريف" وقد يكون من لوازم ظرفه الكذب واخلاف الوعد . أو أن يقال إنه "صريح" أى أنه سفيه فى القول، أو أنه "يحفظ كرامته" وما به من كرامة أهينت ولكنه يتجنى على الناس ليؤذيهم ، أو أن يقال فلان عادل يقضى بالحق بين

الناس وما فى ذلك عناء وإنما العناء فى الظلم يتجنبه العاقل الذى يخشى عقاب الله والناس . فان أنصف الناس من نفسه فى قول أو فعل فذلك هو العدل الذى يتصف به القليل، وهو على ما فيه من خير ومغالبة للهوى لا أراه ينطوى على فضل كبير ، فليس فى أن تأخذ مالك وتدع ما عليك فضل يذكر .

ومن المناقب التى يمتاز بها بعض الناس أن يكون مصلحا يعنى باصلاحه الخير للناس فهو لا يفتأ يتلمس الصالح فالأصلح لاسعادهم وعلاج ما بهم بنظام أو قانون أو منشأة أو موعظة حسنة أو غير ذلك . والقدرة على الاصلاح نعمة اختص الله بها القليل من عباده فما كل واحد براغب فيه ، خصوصا فى بلادنا هذه ، وما كل راغب فيه بقادر عليه بنفسه أو بما تهيأ له من أسباب . وطوبى لمن قدر على الاصلاح فأصلح وأفاد فان فيه لذة لا تعد لها لذة فى الحياة ولا يشعر بها أولئك الذين لا يعرفون فى مجالسهم غير حديث الوزارة وتغييرها أو الوظائف ودرجاتها أو الخيل وسباقها أو ما هو مثل ذلك أو أسفل منه .

ومن المحامد أيضا ، إيثارك الناس على نفسك ولو كان بك خصاصة ، والتضحية بمالك ونفسك لخير بنى وطنك والذود عن بلادك بنفسك ومالك ، ولولا أن فى هذه الخصال حرمانا من المال أو الحياة أو منهما معا لما عددناها من الفضائل ، وان كان فيها انكار للذات كبير إذ لا كرامة لإنسان يعيش فى وطن هضيم أو يكتنف الشر بنيه و يؤذيهم . يعرف هذا من يحب وطنه حقا و يفديه حقا . بالنفس والنفيس . يعلم أن عزته فى عزته وهوانه فى هوانه ، فلا يشعر وهو يدفع عنه العوادى الا بما يمليه عليه فؤاده من الحب له ، وعقله من واجب النجدة والذب عنه والذود عن حياضه ، فهو عرضه ومناط عزه وكرامته ، وهو موطن هواه وهو مراحه ومغداه ، ومتى تشبعت النفس بما للوطن من أنعم على أهله لا تحصى وكرامة لا يدانيها شىء فى الحياة وتجلى لها ما تفعله الأمم الراقية لا فرق بين الذاهب منها والحاضر ولا بين صغيرها وكبيرها من الاستهانة بالحياة والمال والأبناء فى سبيل الوطن ، هان عليها كل عزيز للدفاع عنه ، واستعذبت الموت لاستقلاله واسعاده . ولا شك أن من واجبات الأفراد أيضا اطاعة القوانين وتبليغ الحكومة عما يخل بالأمن والتقدم اليها بالشهادة بالحق واعانتها على اظهار الحقائق ، ودفع الضرائب .

ومن هذا الذى ذكرنا نستطيع أن نعرف الطريق التى نسلكها بأولادنا لادراك الواجبات الوطنية ، والذياد عن الوطن ، وللاستعداد لمختلف التضحيات. هذه الطريق هى أن نحبب الوطن اليهم بأن نعرفهم أنعمه على ساكنيه قولا وعملا فنظلهم بظلال حكم عادل هنىء يجنون فيه ثمار الاستقلال والحريات المختلفة ، والمساواة فى حدود القانون الحكيم ، ويحفظ لهم كرامتهم ، ويعلمهم ، ويصون أموالهم وأبدانهم ، ويجنبهم بوائق الظلم من أى نوع ومن أى ناحية ليذادوا لبلادهم حبا ولحكومتهم اخلاصا. ومتى تبادلت الأمة وحكومتها الاخلاص فقد عثرنا على أقوم سبيل للاتحاد وأقوى حصن للدفاع واجتمعت للحكومة وللأمة أسباب السعادة والمحبة والحرص على كل ما هو محبوب فى هذه الحياة وكل ماهو مشرف لها .

أحمد رمزى

من حكم الامام على

— الاسلام هو التسليم . والتسليم هو اليقين . واليقين هو الأداء . والأداء هو العمل . فالاسلام عمل .

— لو أذن للوتى فى الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

— لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ حقوق أخيه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ووفاته .

— استنزلوا الرزق بالصدقة .

— صونوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالصبر والدعاء.

— لا تكن ممن يرجون الآخرة بغير العمل ، ويرجئون التوبة بطول الأمل .

— الراضى بفعل قوم كالداخل معهم فيه. وعلى كل داخل فى باطل إثمان : إثم العمل به وإثم الرضا به .

فى سبيل حماية النسل

الرضاعة

لحضرة الدكتور عبد العزيز نظمى بك
المتخصص لأمراض الأطفال

الرضاعة هى تغذية الطفل ، من يوم مولده الى يوم فطامه ، بالطريقة التى تناسب حالته الصحية وظروفه الاجتماعية ، فتكون الرضاعة طبيعية اذا رضع الطفل من ثدى والدته . وتسمى رضاعة مأجورة اذا كانت من ثدى مرضع مأجورة ، وأما إذا رضع الطفل بواسطة ثدى صناعى من لبن حيوانى كالبقر أو الجاموس أو الماعز أو الحمير ، فيقال لها رضاعة صناعية . وإذا أرضع الطفل من ثدى والدته أو امرأة أخرى ومن لبن آخر مستخرج من حيوان فيطلق على تلك الطريقة اسم الرضاعة المختلطة . ولنتكلم بإيجاز عن كل من هذه الأنواع .

الرضاعة الطبيعية — هى أحسن طرق الرضاعة لما فيها من المزايا الصحية والاجتماعية للطفل ووالدته . وكفانا دليلا على ذلك أن تلك الطريقة هى التى أشار بها القرآن الكريم حيث قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة" فتلك الآية صريحة فى حث الوالدات على ارضاع أولادهن من أثدائهن وأن يطلن مدة الرضاعة الى سنتين إذا أردن أن يتممن الرضاعة على الوجه الأكمل ، وذلك بشرط أن يتبعن أوامر الطبيب فى نظام الرضاعة من الثديين ومن الأغذية الأخرى التى يشير بها بحسب تطور سن الطفل وحالته الصحية .

وقد ثبت علميا وبالمشاهدات الطبية الكثيرة أن قيام الوالدة بإرضاع مولودها من ثديها يعود بمزايا صحية ومعنوية كثيرة على المولود والوالدة معا ، لأن الطفل الذى تغذى وهو جنين مدة تسعة أشهر من دم والدته ، يكون فى حاجة كبيرة الى استمرار التغذى من هذا الدم نفسه بعد مولده ، إذ أن لبن الأم انما يتكون من عصارة دمها وبذلك يستمر تكوين أعضاء

الطفولة ونموها . هذه الأعضاء التى لا تكفى مدة الحمل لتكوينها و بهذه الطريقة ينمو جسمه بنظام ،لأن لكل طفل غذاء يوافق حالته بسبب قواعد الوراثة والوسط ، وهذا الغذاء لا يوجد على الوجه الأكمل فى مدة الرضاعة الا فى ثدى والدته ،ولذا قيل «لبن الوالدة ملك لمولودها » وهى حكمة بالغة تراها منقوشة بماء الذهب على جدران بعض المستشفيات فى بعض بلاد الغرب ، وقد قال أيضا أحد كبار الحكماء "إن قلب الوالدة ولبنها لا يعوضان" .

وقد ثبت أن عدم قيام الوالدة بإرضاع مولودها مخالفة فى ذلك النظم الطبية والشرعية لا يقتصر ضرره على الطفل بل يسىء الى الوالدة نفسها فى صحتها وفى درجة تعلق المولود بها . أما الضرر الذى يلحق الطفل الذى لم ينعم بالرضاعة من ثدى والدته (اذا لم يكن بها مرض يحول دون قيامها بهذا الواجب) فأمره محقق لأنه يندر جدا أن نعثر للطفل على غذاء يعادل لبن والدته . ولذلك تعتل غالبا صحة الطفل الذى يتغذى بغير لبن أمه ،وقد يترتب على هذا الاعتلال كثير من الأمراض المعوية خصوصا فى فصل الصيف ، هذا عدا ضعف الطفل فيما بعد، بحيث لا يقوى على ما قد يعتوره من الأمراض بين حين وآخر، فتتعرض حياته للخطر.

أما ما يصيب الوالدة من اعتلال فى صحتها بسبب عدم ارضاعها ولدها من ثديها فمرجعه الى تعطل الثديين من تأدية الوظيفة التى خلقهما الله لها فإن الله قد جعل لكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة اذا لم يؤدها بنظام حل بالجسم ضرر عاجل أو آجل . فالثديان اللذان يتحلى بهما صدر كل سيدة هما عضوان نافعان جدا إذ خصهما الله بإفراز اللبن وهو السائل اللذيذ الذى قدره الله تعالى لتغذية الطفل من يوم مولده ليوم فطامه .

فالسيدة التى تعطل وظيفة ثديها الخاصة بتغذية مولودها تعرض صحتها للاعتلال نظرا لارتباط وظائف الثديين وأعضاء التناسل الداخلية عند المرأة ، هذا فضلا عن أن الوالدة التى لا ترضع ولدها من ثديها لا يمكن أن تنعم بعطف كبير ومحبة أكيدة بينها و بين طفلها وكذا لا تكون بين الطفل و إخوته المحبة الأخوية المتينة لعدم تغذيتهم جميعا من لبن والدة، وهى مسائل أثبتتها المشاهدات الكثيرة ،وليس هنا مجال التوسع فى شرح أسبابها وتفاصيلها الصحية والنفسانية .

فإذا تعذر إرضاع الطفل من ثدى والدته لأسباب قهرية كوفاة الوالدة أو إصابتها بمرض عضال، فلا مندوحة عن ارضاع الطفل إما من مرضعة مأجورة أو تغذيته بلبن حيوان، فاذا اخترنا الطريقة الأولى ،وجب علينا أن نحسن اختيار المرضعة من جميع الوجوه بقدر المستطاع مع العلم بأنه من الصعب العثور على مرضعة تكون مستوفية الشروط الصحية والخلقية وغيرها، التى نلخصها فيما يأتى :

(١) يجب أن تكون المرضعة صحيحة الجسم ، قوية البنية ، خالية من أعراض الأمراض المعدية خصوصا السل والزهرى . وللتحقق من ذلك يتحتم عرض المرضعة على طبيب الأسرة الذى يتولى بحثها بدقة ، وعليه أيضا أخذ "عينة" من لبنها لتحليلها فى المعمل للتأكد من موافقة اللبن للطفل المراد ارضاعه وكذا " عينة " من دمها لبحثه فى المعمل بطريقة " وشرمان " للتأكد من عدم وجود آثار لمرض الزهرى فى جسمها .

(٢) يحسن أن يكون عمر طفل المرضعة معادلا بقدر الإمكان لعمر الطفل المراد ارضاعه أو أقل سنا منه ، فلا يصح ارضاع طفل حديث الولادة أو لا يزيد عمره على ٦ شهور مثلا من مرضعة لها طفل يزيد عمره على سنة ، خوفا من أن يجف لبن المرضعة قبل ميعاد فطام الطفل .

(٣) من الضرورى التحرى عن أخلاق المرضعة وسلوكها وعاداتها الخاصة وما الى ذلك من الاستعلامات قبل أن يوكل اليها ارضاع الطفل ، لأن المرضعة السيئة السلوك أو غليظة القلب تسىء الى الطفل الرضيع بشتى الطرق ، أو تلجأ لإسكاته أو تنويمه بواسطة «لحوس» تدخل فى تركيبه بعض المخدرات المضرة بصحة الطفل مثل «أبى النوم» أو غيره . كما أن سوء خلق المرضعة قد يؤثر على أخلاق الطفل فيصعب اصلاحها فيما بعد اذ أن من شب على شىء شاب عليه .

(٤) من المستحسن جدا أن تعنى الوالدة بطفل المرضعة اذا كان حديث الولادة وعمره أقل من ستة أشهر . وأحسن طريقة تتبع أن تبقى طفل المرضعة مع والدته تتغذيه بنصف لبنها وتجعل النصف الآخر للطفل الذى استؤجرت له حتى يبلغ طفل المرضعة ستة أشهر فيرضع من لبن حيوان أو من امرأة أخرى . وليس هذا الرأى بدعة ولا هو من عنديات بل هو مبدأ قررته بعض البلدان المتحضرة وسنت قوانين لتنفيذه ، ففى فرنسا مثلا قانون روسيل (اسم أحد أعضاء مجلس الشيوخ) يمنع استخدام مرضعة لا يزيد سن طفلها على ستة أشهر ويقضى بوضع أولاد المرضعات المأجورات تحت رقابة قسم رعاية الطفل بوزارة الصحة ليتسنى لمفتش المنطقة ملاحظة حالة الطفل وتقييد الملاحظات فى الدفتر الخاص وتقديم النصائح الصحية والمساعدات اللازمة الى الأسرة القائمة بتربيته وذلك بواسطة زائرات صحيات يزرن المنزل أسبوعيا .

(٥) كما أنه من واجب الوالدة التحقق من سلامة صحة المرضعة قبل أن يعهد اليها بارضاع طفلها ، وكذلك يكون من حق المرضعة أن تتأكد أن الطفل الذى سترضعه من ثديها نظير أجر تتقاضاه ، ليس مصابا بمرض معد قد ينتقل اليها ويضر بصحتها وصحة أولادها وزوجها .

كمرض الزهرى أو السل أو غيرهما ، وقد ينقل المرض الى أطفال آخرين بواسطة المرضعة اذا انتقلت من منزل لآخر. وهى حالات كثيرة الحصول بكل أسف، وكثيرا ما يراها الطبيب، ولكنه يعجز عن تلافيها اذا لم يكن قد استشير فيها قبل حدوثها .

ولذلك قررت معظم الحكومات المتمدينة أنه لا يجوز تسليم طفل لمرضعة مأجورة إلا بعد أن تتضح طبيا سلامة الطفل والمرضعة معا من الأمراض المعدية.

ومن المقرر قانونا أنه لا يجوز للمرضعة التى تصاب بمرض معد ، انتقل اليها من طفل أرضعته، أن تطالب أسرة الطفل بتعويض مالى نظير الضرر الذى لحق بها اذا ثبت أنها كانت تجهل اصابة الطفل بهذا المرض .

وقد صدرت جملة أحكام من محاكم البلاد الغربية تؤيد هذه النظرية تبعا للمبدأ القانونى المعروف وهو أن كل من تسبب بضرر للغير يكون مسئولا عن اصلاح الضرر المذكور، وقد تنجم عن استخدام المرضعات المأجورات مفاجآت عجيبة، وقد تكون لها عواقب مؤلمة أذكر على سبيل المثال الحادث الآتى :

استخدمت أسرة راقية مرضعة لإرضاع طفل ذكر ، ثم خرجت المرضعة واستخدمت فى أسرة أخرى لإرضاع طفلة، ولما تم زمن الرضاعة تركت الأسرة الثانية . شب الطفل والطفلة حتى بلغا سن الزواج ، وشاءت الصدفة أن يقترن الطفل بالطفلة بدون أن يعلم أنها أخته فى الرضاعة . علمت المرضعة بزواج الشاب (وهو الذى أرضعته من قبل) بسبب ترددها على منزل أسرته فذهبت الى مسكنه الجديد لتهنئه على زواجه ، وبينما هى مسرورة بما نفحها من عطاء باعتبارها مرضعته، اذ دخلت عليها الزوجة، فما كان أشد دهشة المرضعة اذ عرفت أن العروس هى الطفلة التى أرضعتها من نفس اللبن الذى أرضعت به الزوج وصرحت لها بذلك بحسن نية وسذاجة، فاضطر الزوجان أن يعرضا الأمر على المحكمة الشرعية التى قضت بالحيلولة بينهما لتحريم زواج الاخوة فى الرضاعة . وهكذا كانت الرضاعة المأجورة سببا فى هدم هناء زوجين متحابين كانا يبتسمان لحياة زوجية سعيدة .

ولذا أرى وجوب اتخاذ اجراءات إدارية لمنع وقوع مثل تلك الحوادث، بتسجلات لقيد أسماء المرضعات وأسماء الأطفال الذين رضعوا منهن وتواريخ مدة الرضاعة حتى يتيسر الرجوع الى تلك السجلات قبل تحرير عقود الزواج ، أو اتخاذ أى إجراء آخر يراه أولو الشأن .

ومما يزيد فى عقيدتنا بوجوب ارضاع الوالدة مولودها بنفسها وعدم الالتجاء الى الرضاعة المأجورة (ما لم تكن هناك ظروف قهرية تمنع الوالدة من أداء واجبها نحو مولودها) ،

الصعوبات التى تصادفها الوالدة فى ايجاد مرضعة حائزة للشروط المطلوبة ، وحتى لو فرضنا اننا بعد البحث الطويل والفحص الطبى الدقيق على المرضعة وقبول شروطها المادية عثرنا على المرضعة السليمة من كل مرض ، المنزهة عن كل نقيصة ، فهل يمكننا أن نضمن بقاءها مع ولدنا الى حين فطامه ؟ أليس من الجائز أن هذه المرضعة الكاملة تطلب يوما من الأيام الخروج من خدمتنا لأى سبب تنتحله وتترك لنا طفلنا مريضا بعد أن يكون قد تعودها وأصبح من المتعذر أن يقبل الرضاعة من ثدى مرضعة أخرى ، وتكون هى أيضا قد الفتــه وعرفت عاداته وطرق ارضائه ؟ فاذا حصل ذلك وهو كثير الحصول ، أفلا تكون النتيجة فى الغالب ضارة بصحة الطفل اذ يكثر بكاؤه لفراق مرضعته التى صارت كوالدة ثانية له ، وقد يحصل كثيرا انه خوفا من ترك الطفل بدون مرضعة ، تستأجر والدته له مرضعة أخرى كيفما كانت ، بدون أن تتحرى بدقة عن صحتها وسلوكها وماضيها أو بدون أن تعرضها على الطبيب للكشف عليها بدقة وتحليل لبنها الخ الاحتياطات اللازمة .

وربما يرفض الطفل الرضاعة من المرضعة الجديدة فتنتخب له مرضعة ثانية وثالثة ورابعة ثم تضطر الوالدة أن تلجأ الى الرضاعة الصناعية وتعرض ولدها العزيز الى أخطار النزلات المعوية التى ربما قضت على حياته الغالية ؟

أما الرضاعة الصناعية ، أى تغــذية الطفل بلبن حيوان أو بأحد أنواع الألبان المجهزة فى المصانع على شكل مسحوق أو لبن مجفف ، فلها قواعد ونظم دقيقة يتحتم اتبــاعها لمنع أخطارها على صحة الطفل . وحيث إن تفاصيل تلك النظم والقواعد تحتاج لشرح ، لا يتسع له المجال هنا ، فإنى أشير على الأمهات بالرجوع الى الكتب الخاصة بقواعد تربية الأطفال. وقد فصلت هذا الموضوع وجميع الموضوعات الخاصة بنظم تربية الأطفال تربية صحية منظمة فى بعض رسائل لى ، ومنها كتاب (تربية الأطفال ، الطبعة السادسة) كما انى على استعداد لتقديم الإيضاحات اللازمة لقراء المجلة بغير أجر فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله .

دكتور عبد العزيز نظمى

التعاون ميدان جديد للمرأة

لحضرة صاحب العزة الدكتور ابراهيم رشاد بك مدير التعاون

البيت مملكة المرأة وميدان عملها الأول ، فاذا أدت مهمتها هنـاك كما يجب أن تؤدى وجعلت من هذا البيت مقرا ممتعا لها ولزوجها وأولادها يستمدون منه القوة والخلق فقد نجحت فى حياتها ، واذا تيسر لها بعد ذلك أن تساهم فى الحياة العامة بقدر ما تسمح به ظروفها فهذا فضل منها ، على انه ميسور لها دائما أن تتبع مجرى هذه الحياة ، أما اشتراكها فيها فعلى حد الحـــديث :

" من رأى منكم منكرا فليقومه بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

إن الحياة العامة فسيحة النواحى متسعة المسالك ، فمنها ما يصلح للمرأة بطبيعتها أن تشتغل فيه ومنها ما لا يصلح ، فالعناية بالمرضى ورعاية الأطفال وتعليم النشء وتدبير البيوت وتربية الفتيات وكثير مما يدخل فى عداد الخدمات الاجتماعية كل هذا يمكن للمرأة أن تشترك فيه بنصيب يقل أو يكثر بحسب ما يتسع له وقتها وتهيئها له استعدادها .

ومن هذه الميادين الصالحة للمرأة ميدان " التعاون المنزلى " فكأن لدخولها هذا الميدان الذى يتفق وطبيعتها نفعا مزدوجا .

* * *

إن تدبير أمور الحياة المعيشية يتأتى من طريقين : الأول إيجابى ومن اختصاص الرجل عادة وهو زيادة الكسب ، والطريق الثانى سلبى وهو فى الغالب من شأن المرأة وهو الاقتصاد فى الصرف . وتتوقف هناءة العيش لدرجة كبيرة على متانة هذين الركنين ، وجمعية التعاون المنزلى كما نعلم ، تمكننا من الحصول على جميع مطالب المنزل بأسعار معتدلة ومن أنواع جيدة

وبموازين كاملة وفى نفس الوقت ندخر فيها ما نوفره فنشترى به أسهما تدر علينا ربحا عادلا وتوزع علينا آخر العام جزءا من أرباحها يتناسب مع مبلغ تعاملنا معها . فالجمعيـة فى الواقع تساعد على تدبير الأمور المعاشية من الناحيتين السلبية والإيجابية .

إن حركة التعاون المنزلى هـذه خليقة أن تساهم فيهـا المرأة إذ بواسـطتها تدار أمورها المنزلية أحسن إدارة ، واذا علمنا أن من الأوضاع التعاونية صرف جزء من أرباح الجمعيـة فى الأعمال الخيرية التى تعود بالمنفعة العـامة على الجهة وأهليهـا — ويمكن للمرأة أن يكون لها رأى فى طريقة صرف هذه المبالغ — أدركنا أهمية اشتراك المرأة فى التعاون لتوجيه هذه المبالغ فى الوجوه التى يجب أن توجه اليها بمـا جبلت عليـه المرأة من الاستعداد للخدمات الاجتماعية خصوصا أن هـذه المبالغ قد تجمعت فلا عناء فى جمع اكتتابات ولا تعب فى جمع إعانات .

ويتبين ممـا يأتى طريقة توزيع الأرباح فى آخر كل عام فى الجمعيات التعاونية المصرية وهذه الأرباح تتكون من الفرق بين ثمن شراء الحاجيـات بالجملة وثمن بيعها بالقطاعى بعد سداد جميع النفقات .

أولا — يؤخذ مبلغ للاحتياطى لا يقل عن ٢٥ ٪ من هـذا الصافى لسد ما عسى أن يطرأ من خسارة على الجمعية وتقوية لمركزها .

ثانيا — يؤخذ بعد ذلك ما يكفى لدفع ٦ ٪ للأعضاء فائدة على أسهمهم .

ثالثا — يؤخذ جزء قد يصـل الى ٢٠ ٪ أو أكثر من الصافى لأجل ترقيـة شؤون البلدة القائمة فيها الجمعية من الوجهتين المـادية والأدبية .

رابعا — يوزع ما يتبقى على الأعضاء بنسبة المعاملات التى أبرمها كل منهم مع الجمعية وهو ما يطلق عليه اسم " العائد " .

* * *

هذا هو بإيجاز موقف المرأة المصرية من الحركة التعاونية المنزلية، وواضح منه أن التعاون يوفق بين مصلحتها الشخصية ومصلحة المجتمع فى ميدان دوميدانها، فالتدبير المنزلى والخدمات الاجتماعية لها فى نفسها كل اعتبار وهى أقدر من يخدمها .

فكيف إذن ينظم نساء مصر أنفسهن للعمل فى الميدان الجديد عليهن ؟ ؟ هذا الميدان الاقتصادى الاجتماعى الذى نزلت فيه المرأة الغربية من قبل وخصوصا الانجليزية فاستفادت كثيرا وأفادت أيمـا إفادة .

إن الكتابة فى هذا الموضوع الآن تأتى فى وقتها المناسب ، فقد تم تأسيس جمعية التعاون المنزلى للقاهرة . والآمال معقودة على أن تقوم هذه الجمعية بخدمة مستهلكى العاصمة عامة ، وخصوصا ذوى الدخل المحدود ومتوسطى الحال منهم بالتزامها الاعتدال فى الأسعار وبقضائها على التلاعب بالتجارة ، وبرفعها مصلحة المستهلكين فوق كل اعتبار .

إن هذه الجمعية ليست فريدة فى نوعها فى مصر بل هى واحدة من نحو خمسين جمعية منتشرة فى البلاد يبلغ عدد أعضائها ٨٠٠٠ ورأس مالها المدفوع ٤٥٠٠٠ جنيه وتتعامل فى العام بنحو ١٥٠٠٠٠ جنيه وهى ناجحة فى مهمتها وتتقدم باطراد .

وإذا نحن تكلمنا هنا عن جمعية العاصمة التى لم تبدأ عملها بعد ، والتى تم تسجيلها أخيرا ببعض مئات من الأعضاء وبعض آلاف من الجنيهات كرأس مال فإنها ستكون أكبر جمعية بطبيعة الحال وستكون المثل الأعلى لهذا النوع من الجمعيات وما يملكه اليوم نساء العاصمة من سبل لتدعيمها سوف يسلكه غدا نساء المدن عامة لتدعيم جمعياتهن .

ويقوم بعض النساء المثقفات من نساء العاصمة بانشاء " جمعية التعاون النسوية " وبجهودهن ينضم اليهن عدد كبير من النساء . ويتكون رأس مال هذه الجمعية من اشتراكات سنوية قيمتها ٢٠ قرشا مثلا . ويدير هذه الجمعية مجلس إدارة له رئيسة وسكرتيرة وأمينة صندوق ويستأجرن محلا فى وسط المدينة .

وتتلخص أغراض هذه الجمعية فيما يأتى :

أولا — يشترك أعضاء هذه الجمعية فى جمعية التعاون المنزلى للقاهرة كما أنهن يجتهدن فى اشراك أكبر عدد ممن يعرفن من النساء .

ثانيا — يحصلن ما أمكن على لوازمهن المنزلية من مأكل وملبس من جمعية التعاون المنزلى وإذا لم يرتحن إلى معاملة الجمعية لا يكون هذا داعيا لانصرافهن عن معاملتها . بل يبحثن الأسباب ويعالجن الأمور . إذ الجمعية بأعضائها وما مجلس الإدارة إلا هيئة أقامها هؤلاء الأعضاء لخدمتهم فى الجمعية .

ثالثا — يزرن محلات الجمعية المنزلية من وقت لآخر ويراقبن تنظيم البضائع فيها وعرضها فى فترياتها وطرق توزيعها على الزبائن . ومبلغ جودتها واعتدال سعرها . ونظافة المحلات وهندام الخدم وسرعة الانجاز ولف البضائع الخ بحيث لا يقل كل ذلك عما فى أحسن المحلات التى من نوعها وينقدمن بآرائهن واقتراحاتهن إلى مجلس إدارة الجمعية المنزلية ويطلبن منه تحقيق الإصلاحات المطلوبة .

رابعا — أعضاء الجمعية النسوية من كل حى من أحياء المدينة يروجن الدعوة للجمعية المنزلية فى جهتين، حتى إذا ما بلغ الأعضاء منه عددا محترما ، يطالبن بانشاء فرع فيه للجمعية المنزلية ويسعين فى انجاحه .

خامسا — تقف الجمعية النسوية على كل كبيرة وصغيرة من أعمال الجمعية المنزلية ويقدم مجلس إدارتها التقارير الوافية عن مواطن ضعفها ووسيلة العلاج كما أنه يقدم مشروعات لطريقة توزيع المبالغ المخصصة من صافى أرباح الجمعية على الإصلاحات الاجتماعية فى العاصمة .

سادسا — يعقد مجلس إدارة الجمعية النسوية جلساته من وقت لآخر للنظر فى مختلف شؤون الجمعية . وتنعقد الجمعية العمومية مرة فى السنة لاستعراض مجهودات الجمعية وتقديم التقرير السنوى عنها وانتهاز هذه الفرصة لدعوة قادة الرأى من رجال التعاون لمحاضرتهن فى الموضوعات التعاونية التى تهمهن جميعا .

سابعا — اختيار مقر الجمعية النسوية من ناحية السعة والموقع والمواصلات بحيث يصلح لأن يكون ناديا نسويا يؤمه الأعضاء فى كل وقت ، وفيه من الاستعداد ما يجعل الأعضاء يقبلن عليه لمقابلة بعضهن أو للاستراحة فيه أثناء قيامهن بشراء لوازمهن من السوق . على أنه من وقت لآخر تقيم الجمعية بهذا النادى اجتماعات عامة لإلقاء محاضرات تنير الطريق لهن فى حياتهن .

* * *

هذه مقترحات لتنظيم جهود نساء العاصمة فى حركة التعاون المنزلى الذى تعد المرأة أكبر عميل له باعتبارها ربة البيت المسئولة عن تغذية أفراده والقيام بتأثيثه وتنظيفه . ومهمة الرجل كسب الرزق وتخصيص الجزء الأوفر منه للبيت . وإذا لم يكن هذا هو الحال فى كثير من البيوت المصرية فى الوقت الحاضر، فان الاتجاه العام هو نحو هذا الطريق، وهو الطريق الطبيعى الذى يجب أن تسلكه المرأة المصرية الحديثة إذا أرادت أن تثبت شخصيتها وتعلى مكانتها وتشعر زوجها بأنها تعاونه فى الحياة .

ابراهيم رشاد

تعدد الزوجات والطلاق

بقلم الأستاذ محمد المهياوى

أباح الله للمسلمين حلالين كلاهما مقدر بحسب الضرورة : تعدد الزوجات ، والطلاق، ففى إباحة تعدد الزوجات تقول الآية الكريمة تقييدا لهذه الإباحة "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" وفى إباحة الطلاق يقول الحديث الشريف تحذيرا من إيقاعه فى غير حاجة موجبة « أبغض الحلال الى الله الطلاق » .

وتعدد الزوجات والطلاق كلاهما منظور اليه فى حكمة الاسلام على أنه مصلحة تفيد فى تقويم الحياة الانسانية كلما استدعتها أسبابها الصحيحة ، فيجب أن يكون ملحوظا أنه لا شيء من الهوى الجامح والنزعات الباطلة يدخل فى شيء من هذه الأسباب .

وعلى من يريد أن يدرك حكمة الاسلام فى إباحة هذين الشأنين أن يجعل فى مقدمة حسابه طوارئ الحياة وأحداث الزمن، وألا ينسى من هذه الطوارئ والأحداث ما يكون منظورا منها فى مشاهدة الواقع الحاضر، وما يكون محتمل الوقوع فى غيب المستقبل المجهول، ثم أن يجعل فى مقدمة ادراكه أن الزواج مطلوب لتحقيق حاجتين تقوم كلتاهما من عمران الدنيا وصلاح أمرها وأمر الناس فيها مقام الدعامة القوية والأساس المتين، وأن الطلاق جائز لانتفاء ما عسى أن يحدث من المعطلات لهاتين الحاجتين كلما وقف فى الطريق ما يعطلهما .

ونحن الآن نجد حربا قائمة بين دول قوية ، ولا نجد من الأقدار كفيلا يخبرنا أن هذه الحرب قصيرة المدى ، أو أنها باقية فى ميادينها المعروفة وأقطارها المحددة، فلن تطوق الشرق والغرب بذراعيها، ولن تمتد نارها فتحرق أجناس البشر وألوانهم فى أقصى الأرض وأدناها، ومع ذلك نفرض أنها لن تتجاوز مكانها اليوم الى أمكنة سواه فى أوربا تطرقها غدا ، ولن تتخطى غدا هذه الأقطار الأوربية الى أقطار غيرها فى الغرب والشرق تشتعل فيها الى ما شاء الله ، ونحن حين نفرض ذلك ملزمون أن نعترف أن من شأن هذه الحرب وكل حرب مثلها أن تؤدى الى ما يأتى :

أولا — أن الشبان هم الذين يحشدون اليها جنودا يحصدهم الموت ، فاذا نضبت مواردهم حشد الرجال ممن توسطوا بين الكهولة والشباب .

ثانيا — أن هؤلاء وهؤلاء هم الكثرة المطلقة بين الذكور من أبناء الأمم، فاذا بقى بعدهم أحد فأولئك هم الشيوخ الفانون .

ثالثا — أن النساء من جميع الأعمار لا يحشدن الى ميادين القتال ليحصدهن الموت ، ولكنهن باقيات ليجبن نداء الواجب فيؤدينه وراء الصفوف حيث لا تطحنهن طواحن الفناء فى المعركة الواحدة ألوفا بعد ألوف وصفوفا تتساقط فوق صفوف .

وليس فى هـذه المصائر التى لا محيص منها مع الحرب إلا أن تعود الشعوب المتحاربة وقد اختل فيها ميزان التعادل بين الرجال والنساء، فيبقى النساء على كثرتهن البالغة حين لا يبقى من الرجال إلا قلة أظهر من فيهـا كهول يطرقون أبواب الشيخوخة وشيوخ يقفون على أبواب القبور .

ففى مثل هذا المصير كيف تصان الأعراض وتحفظ الأنساب ويؤمن الخطر على روابط الأخلاق العامة ؟ وكيف يعود بناء الأسرة وتتيسر الوسيلة لتعويض الأمة ممن فقدتهم فى الحرب شبابا تعتمد عليهم فى الملمات، وتدخرهم لمثل الغاية التى ذهب فيها المفقودون ؟ هل يكون ذلك والنساء مخليات متروكات لايجدن مع العجز ونفاد الحيلة سلعة يتقين بربح تجارتها غوائل البأساء غير أعراضهن ؟

هنا لا بد من تعدد الزوجات ، وهنا إذا لم تتعـدد الزوجات فى الحلال الطيب تعددن فى الحرام الخبيث ، ثم لاتلبث الأمة أن تفشو فيها الموبقات، وتشيع فى بنائهـا الاجتماعى أسباب الخلل ودواعى الانهيار . وهذا المثال من نتائج الحرب تمنع المشاهدة أن يتطرق اليه الشك ، وهناك أمثلة أخر تمنع الشك فيهـا هـذه المشاهدة نفسها ، فقد يحدث أن تعقم الزوجة فلا تلد والرجل يريد من الذرية ما تريده الطبيعة وما تستدعيه مصلحة الأمة ، وقد تكون زوجته خير الزوجات ، وقد يكون هو لها خير الأزواج ، ولكن هل يخرج من الدنيا ولم تكتحل عيناه بنور الولد، لأن سوء الحظ أعقم هـذه الزوجة، بل قد لا تأمن هى متاعب العيش مع زوج آخر ولا يضمن لها أحد أن تجد فى أى زوج آخر ما تجده فى هذا الزوج من حسن المعاشرة ، فهل تخرج من راحة محققة إلى شقاء متوقع ؟

وقد تكون الزوجة مريضة حتى لا يكتم حذاق الطب أن مرضها طويل، وأنه لا رجاء للشفاء منه ، أو أنه مرض يعطلها عن أهلية الزوجية ويبقى معها طول العمر ، فاذا يطلب من الرجل أن يفعل إذن ؟ هل يطلب منه أن يلقيها بالطلاق إلى فضاء الأرض ليكون ألأم الأزواج وأشدهم غدرا ؟ أو يطلب منه أن يخالف ما طبع عليه من الاستقامة والشرف فيغشى النساء فى الحرام و يصبح وله بدل الزوجة الثانية عدة خليلات من بنات الهوى ، فلا تزال المسكينة تغص كل يوم من إشاعات أمره بما لا تغص به من هذه الزوجة الثانية ؟ أو يطلب منه أن يرتد طفلا أو يصبح خصيا أو يتكلف أنوثة النساء ؟ . .

إن إباحة الزوجة الثانية فى مثل هذه الحالة واجب لا يسقطه عقل ولا عدل ، ولا تأباه شريعة منصفة .

هذه الأمثلة ونحوها تقتضى للمصلحة الخاصة والعامة تعدد الزوجات ، وهو مع قيام المصلحة التى تستوجبه على هذا الوجه مقيد بشرط من الشروط النفسية التى يرجع الأمر فيها إلى الإنسان وحده ، وهذا الشرط هو أن تطمئن نفس الرجل إلى أنه سيعدل بين زوجتيه أو زوجاته ، وأن ينتفى من نفسه خوف عدم العدل ، فاذا انحرف بعد ذلك عن العدل فى كل مظاهره فهو المسئول . فان شاع فى الناس الاستخفاف بهذه المسئولية كان على ولى الأمر أن يقيم حدودها ثم يردهم اليها .

لكن بعض الناس فى هذه الأزمنة المتأخرة توهموا أن تعدد الزوجات متعة أباحها الدين مطلقة من كل قيد، بعيدة عن كل مسئولية ، وبهذا التوهم وقعوا فى سيئات الدنيا والآخرة وأوقعوا فيها من لاذنب لهم من الأبرياء والبريئات .

على أنه لا يفوتنا انصافا للمجتمع المصرى أن نقول إن تعدد الزوجات لم يكن شائعا عندنا شيوع العادة يجرى حكمها على كل رجل ، فالحقيقة أنه كان إلى ما قبل ثلاثين سنة ظاهر الشيوع بين من يستطيعونه فى المدن والقرى من أعيان العلماء والتجار والمزارعين ورجال الحكم ، ومع ذلك كان شيوعه بين هذه الطوائف فى أفراد لا يصلون إلى حد العموم، فقد كنت تستطيع أن تجد فى القرية خمسة بيوت فى كل بيت أكثر من زوجة واحدة ، كما كنت تستطيع أن تجد فى الحى الواسع من أحياء المدينة مثل هذه البيوت الخمسة ، ولكنك أيضا كنت تستطيع أن تجد من سوء العواقب فى هذه البيوت ما تتأصل جذوره وتمتد فروعه فاذا هو يشمل القرية كلها أو الحى كله ، وإذا النعمة التى كانت تفيض على أهل القرية أو الحى من بيوت العزة والجاه تتبدل شقاء تعصف ريحه بالبيت العامر فيعود خرابا وتحرق ناره القريب والبعيد فيعود الجميع متناكرين ، ولما أخذت مدارك الناس تتهذب

مع الزمن وجعلت الحياة توحى إلى أفهامهم ما فيها من حقوق وواجبات ، وما تستدعيه هذه الواجبات وهذه الحقوق من تكاليف لامناص لهم من أدائها ولا سبيل إلى التحال منها ، نمدت فى النفوس بواعث الرغبة فى الزواج بأكثر من واحدة ، بل نمدت فى نفوس المتبرمين بالحياة والمتشائمين من قسمة الحظوظ فيها والمستخفين بقدس الأسرة وشرف الحياة الزوجية كل رغبة فى الزواج على إطلاقه ، وبذلك انحصر تعدد الزوجات فى حدود من بقايا الماضى القريب أو ممن لا يزالون يعيشون فى هذه الأيام بالروح التى كان يعيش بها أولئك البقايا أمثالهم قبل ثلاثين سنة .

وليس المراد أن تعدد الزوجات أصبح وقد تقلص ظله ، بل المراد أن أساليب الحياة وألوان التفكير فيها والنظر اليها فى هذه الأيام أخذت تنسخه وتنسخ ظله معه ، على أن فيما بقى من عادته الجارية كفاية للنصح بالعدول عنه مالم تستوجبه ضرورة من الضرورات التى أسلفنا الإشارة اليها .

ان الزواج الثانى على الزوجة الأولى حين تكون مستكملة محاسن الذات والأخلاق بالقدر الذى يجعلها بين مثيلاتها زوجة صالحة لا يكون إلا سيئة عظيمة ، ولا ينتهى — فى الأعم الأغلب — وهو هذه السيئة العظيمة ، إلى غير الشقاء يحمله الرجل إلى أهله ثم يحمله أبناؤه من الزوجتين أو الزوجات إلى أبنائهم ، ثم لا يزالون يتوارثون العداوة والبغضاء ، ثم لا تزال العداوة والبغضاء تسرى فى العروق سموما ، وتمشى فى القلوب هموما ، وتنبعث من الصدور نارا تلتهم صلة الأرحام ، وترتفع فى الأيدى معاول تهدم ما بين ذوى القربى من مودة و إخاء .

قد يصدق الرجل اذا اعتزم وهو مقبل على الجمع بين الضرتين أو بين الضرات أن ينصف نفسه بالعدل بينهن ، ولكن الطبيعة البشرية لا تصدق اذا أوهمته أنها ستوجهه الى هذا العدل ، فالمرأة لا تجعل فى الدرجة الأولى من اهتمامها أن يسوى الزوج بينها و بين ضرتها فى الطعام والشراب والكسوة والمسكن ، لا ولكنها لا تهتم بشىء قبل اهتمامها بأن يعطيها من قلبه أكبر نصيب إن لم يكن هذا القلب لها وحدها ، فاذا قال الرجل إنه يستطيع أن يعدل بين زوجتيه أو زوجاته فى قسمة القلب فقد كذب ، و إذا قال إنه يستطيع هذا العدل فى قسمة الزمن فقد بالغ ، بل اذا ادعى أنه يستطيع أن يقيم هذا العدل فى قسمة المتاع من أسباب الزينة والبهجة والتحلى فقد ظن بنفسه فوق ما يستطيع ، ولهذا أبانت له الآية الكريمة ما ينتظره من الخطر وتركته يشترط على نفسه من الثقة بالعدل ما لا يشترطه عليه شرع ولا قانون ، اذا كان القلب هو مستقر هذا العدل و إذ لم يكن لحاكم ولا قاض أن يصل الى هذا المستقر ليرى ما فيه ثم يقضى على حسب ما رأى ، لا ولكن هذه الآية الكريمة أرشدته بعد

أن تركنه حرا فى امتحان نفسه الى طريق السلامة : " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا " ، ففى هذا الارشاد ما يقرر أن الاقتصار على الزوجة الواحدة أقرب الى عدم الجور، وأضمن للنجاة من الظلم، وأهدى الى الأمن فى الحياة الزوجية ، و إلى السلامة من متاعب الضرائر وسوء الأثريين الأبناء ، ومع أن إباحة تعدد الزوجات مشروطة فى الآية بشرطها وهو ألا يقوم بنفس الرجل خوف من عدم العدل فإن الله تعالى أبى أن يتركه لنفسه حتى لا يغلبه ضعف الطبيعة البشرية فقال بعد ذلك " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل " .

فالله يعلم أن هذا العدل خارج عن حدود الاستطاعة مهما كان الحرص عليه ، ولكنه تعالى يعلم أيضا أن فى الحياة طوارئ وضرورات لا تحقق معها المصلحة إلا بتعدد الزوجات ففى مثل هذا التعدد الذى تقتضيه المصلحة المطلوبة ينهى الاسلام عن الميل كل الميل الى زوجة دون أخرى .

إلى هنا نستخلص النتائج الآتية :

أولا — أن تعدد الزوجات ضرورة مقدرة بحسب أسبابها ودواعيها .

ثانيا — أن المصلحة التى لامناص منها — سواء كانت مصلحة الجماعة أو مصلحة الفرد — هى مرجع هذه الأسباب وهذه الدواعى .

ثالثا — أنه لا شىء من الهوى وشهوة النفس فى غير حاجة صحيحة يمكن أن يكون سببا مقبولا لتعدد الزوجات .

رابعا — أن للزواج بأكثر من زوجة واحدة مع الجمع بينهما أو بينهن لغير سبب صحيح آثارا منها : تفكك الأسر وتمزق الثروة وتوارث العداوة والحقد بين الأبناء من أب واحد ومن يخلفونهم من أبنائهم وحفدتهم .

فاذا جاز أن يوصف هذا الزواج ونتائجه بوصف صحيح فهذا الوصف هو أنه علة اجتماعية تحتاج من عناية المصلحين الى علاج حاسم .

محمد الهمياوى

الأم قدوة لبناتها

للأستاذ سلامة موسى

عندما نقول إن الأم هى قدوة لبناتها لا يكون قولنا هذا كل الحق . لأن الحق أنها هى قدوة بناتها وأبنائها معا . ذلك لأن الثابت الآن أن الأم — دون الأب — هى التى تربى بنيها من الجنسين . وان حظ الأب فى هذه التربية ان لم يكن معدوما تماما فهو على الأقل صغير بالمقارنة الى ما سيناله الأبناء من أمهم .

فقد ثبت أن ما ننالة من تربية أصليـة — وهى غير التعليم كما هى أكبر منه وأخطر — انما نحصل عليـه فى السنوات الخمس أو الست الأولى من الطفولة . أى أن العادات والاستجابات تتكون فى هذه السن وهى الأساس الذى يبنى عليه فى المستقبل. ففى هذه السنين تتكون أخلاقنا التى قد تلازمنا الى سن الشيخوخة . فاذا ساء الحظ وكانت تربيتنا فى هذه السنين الأولى من أعمارنا سيئة فان هذا السوء سوف يلازمنا مدى حياتنا أو هو سوف يحتاج الى أعظم المجهود لازالة أثره .

ولهذا السبب يجب أن نكبر من شأن المرأة وأن نذكر أنها هى المربية الأولى والأصلية لكل من أبنائنا وبناتنا . وطبيعة جنسها تجعلها بالطبع أكبر أثرا فى ابنتها من ابنها . ولكن هذا لا يعنى أنها معدومة الأثر فى الابن أو حتى صغيرة الأثر فيه . بل يعنى أن طبيعة جنسهـا تجعلها ألصق بابنتها كما تجعل هـذه أطوع لها وأكثر اقتداء بها من الابن . ثم هذا الابن قد يجد فى مرافقة أبيه وفى أنهما من جنس واحد ما يجعله يلتفت إليه أكثر ويقتدى به أكثر مما تفعل البنت. ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا وأن نظن أن الأب يؤثر فى الابن أكثر من الأم.

وعامتنا يعرفون أثر الأم فى البنت . ولهم أمثال شـائعة فى ذلك وهى أمثال قد أثمرها الاختبار . إذ قل أن تختلف الفتاة فى أسلوب عيشها من الأم التى ربتها . ذلك أن لكل أم أسلوبا فى العيش لا يبدو فقط فى تقديرها للقيم الاجتماعية والاخلاقية بل يبدو كذلك فى تدبير المنزل ونوع الطهى وترتيب الأثاث والمندام ومعاملة الخدم . وأكثر من ذلك يبدو فى معاملة

الزوج ومجاملة الضيوف . والفتاة تعرف الدنيا لأول ما تعرفها عن طريق أمها . فهى تنظر اليها نظراتها وتتخذ ما يمكن أن نسميه "فلسفتها" منها لأنها تقدر القيمة الاجتماعية والأخلاقية التقدير الذى رأته منها ثم هى تتخذ أسلوبها فى العيش لهجة فى الحديث وايماءة باليد أو الوجه ولونا فى الهندام ومعاملة للغير . وكثيرا ما نرى المشابهة تقارب المطابقة بين الأم والبنت فنظن أنها ترجع الى قوة الوراثة . ولكن الحقيقة أنها ترجع الى القدوة أكثر من الوراثة .

فإذا شاءت الأم أن تربى ابنتها التربية الحسنة السامية فكل ما عليها أن تجعل من نفسها أمامها القدوة الحسنة السامية . فلا تتهاون فى أتفه الأمور لأن هذا التافه ستنقله عنها ابنتها فى دقة قد تحار منها الأم فى المستقبل وتندم عليها . ولتثق الأم أن ابنتها حين تأكل فى غير لباقة أو أناقة أو حين تتسلى بأكل اللب أو حين تطرح قشر البرتقال على الأرض أو حين تصخب وتزعق مع الخدم أو حين تضحك الضحكة النابية إنما تنقل ابنتها عنها كل ذلك . وأن ما من سيئة تعزى الى البنت الا كانت لاصقة بالأم . وقد يقال هنا إن للمدرسة أثرا لا ينكر فى التربية . وهذا صحيح . ولكن هذا الأثر ضعيف جدا لا يكاد يؤبه به الى جنب الأثر الذى تتركه الأم فى ابنتها لأنها لازمتها السنوات الخمس أو الست الأولى من عمرها .

ولهذا ينبغى للأم أن تنظر فى سلوكها العام فى البيت وأن تتدبر أثر ذلك فى ابنتها . فإذا قعدت الى المائدة معها فلتذكر أن ابنتها — على غير وعى منها — تنقل عنها كل ايماءاتها وحركاتها . بل هى سوف تحب ما تحب أمها من الطعام وسوف تأنف مما تكره أمها . ولا يمكن البنت أن تتعلم النهم فى الطعام والرغبة فى الحلاوى واعتياد أكل اللب الا إذا رأت مثل ذلك فى أمها . ثم هى أيضا سوف تتخذ من اللباس ما تحبه أمها وتؤثره على غيره من الأزياء . ثم هى بعد ذلك ستنظر الى أمها فى معاملة الخدم وستعاملهم بالرفق أو العنف وبالمجاملة أو بالمخاشنة كما ترى من أسلوب المعاملة التى يلقاها هؤلاء الخدم من أمها . وهذه الأم تقرر بهذه المعاملة سعادة ابنتها أو شقاءها فى مستقبل الأيام . إذ من منا لا يعرف سيدات شقين الشقاء العظيم بالخدم لا لأن هؤلاء الخدم قد ساءت طباعهم الى حد يتجاوز المعقول المألوف بل لأن ربة البيت تسئ اليهم فى المعاملة .

ثم هذه الأم بما تقرأ أو بما تتلهى سوف تغرس فى ابنتها أسلوبا من اللهو فى الفراغ . فعليها أن تذكر حل هذا الأسلوب الذى تتبع هى يعد حسنا أم سيئا وهل ترضاه لابنتها أم لا؟ فهى إذا كانت تقعد إلى ضيوفها للقيل والقال أو إذا كانت لا تقرأ غير التافه من المجلات فان ابنتها ستنقل عنها هذا الذوق فى "قتل الوقت" .

ثم هى فى معاملتها لزوجها بالملاطفة والمحاسنة أو بالمخاشنة والمغاضبة إنما تعلم ابنتها كيف تكون الزوجة المستقبلة . وكلنا يعرف أن البيت الهادئ إنما يعود الفضل فيه إلى الزوجة

الهادئة التى تتكلم بصوت منخفض فينصت إليها المستمع ويتعود الأولاد منها هذه العادة . أما الزوجة التى تحيل بيتها ندوة صاخبة من الهرج والمرج فالأغلب أنها وصلت إلى هذه الحال لأنها تعودت الصخب والمشاتمة والعنف مع الأولاد والخدم .

والأولاد الناجحون والبنات الوقورات إنما ينشأن فى العادة فى جو منزلى هادئ تحت رعاية أم وقور ساكنة تجامل الخدم وتعف عن البذاء ولا تنطق إلا بصوت منخفض يحتاج مستمعه إلى الهدوء فيقهر الجميع على التزام هذا الهدوء . وفى هذه الحال ينضج الذهن فيقبل الابن على درسه وتقبل البنت على عملها فى غير ضجة وتزول الخلافات أو تقل . وقد يتاح للبيت هذا الهدوء وقت وجود الأب فيه لخوف والاتقاء . ولكن سرعان ما يعود الهرج والمرج والصخب والزعيق عند ما يخرج لأن الأم لا تضبطه . وعندئذ لا فائدة من هذه الهدنة التى يقضيها الأولاد فى الصمت وقت وجود أبيهم . لأنهم لن يتعودوا الهدوء منها إذ هم يرون فيها نوعا من العقاب . ولكنهم يعتادونه إذا انغرس فيهم عادة من الأم .

الأم قدوة للبنات وللأبناء . فلتكن القدوة الحسنة .

غرر الدرر

— النصح ثقيل فلا تجعله جدلا ، ولا ترسله جبلا .

— الحقيقة ثقيلة ، فاستعيروا لحقائق العلم خفة البيان .

— رب باك كضاحك المزن ، دمع ولا حزن .

— قبح الدين ، نطق فغضح ، وسكت ففدح .

— ما نبه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب .

— ضيق الرزق من ضيق الخلق .

شوقى

الزواج حاجة نفسية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

هذا رجل يحكم أمره على مقتضى العقل والحكمة ، وقد أمليا عليه ألا يتورط فيما تورط فيه غيره ، فيتخذ الزوجة و يعقب الولد ، محملا نفسه تبعات ما كان أغناه عنها ، مشتغلا بهموم كان فارغ البال منها . فهو ثابت العزم على العزوبة ، يزداد بها كل يوم يقينا . وفى كل حين يجادله المجادلون ولم يظفروا بإقناعه فينصرفون عنه يائسين ، ولعلهم إذا خلوا الى أنفسهم كانوا به من المعجبين . ذلك مقتضى " العقل " .

وهذا شاب فى عنفوانه صاحب لهو ومراح . انفسحت أمامه ميادين اللذة ومجالاتها ، وواتته الفرص ومحضته طيباتها . وهو إلى ذلك من القلائل المجدودين فلم يتلف فى سبيلها صحة ، ولم يهلك مالا ، و إنما كانت حياته ليلة قصف ، كلها طرب وضحك وعبث . هذا الطروب السعيد هيهات يخطر له الزواج ، وهيهات يفاتحه فيه أحد . وفيم لمثله التقيد بالزوجة وحمل هم العيال ؟ إنه — إلى خلو البال — متجدد العرس . وذلك أبلغ متعة فى " الحس " .

حالان مستعصيان ولا عجب .

على أننا لانكاد نتعود حالهما ونميل الى التسامح فى أمرهما و إقامة العذر لهما حتى نسمع ذلك العجب :

إن هذين اللذين عرفناهما من أرسخ العزاب ، لم يلبثا — بعد طويل الأمد أو قصيره — أن انتهيا كغيرهما الى الزواج .

فما القول ؟

أو نحسبها لعنة قضاء فينا وعدوى تخطف !

إننا ندع فى هذا المقام الهذر والمزاح لنقرر أن الجانب الأسمى منا لم يزل يغالب " العقل " و " الحس " حتى غلب .

فالى جانب " العقل " الذى يأمر بالأنانية، ولا يدل على غير المصلحة الشخصية، تقوم غريزة نفسية تدفع إلى العطف والتضامن والإيثار ومعاناة الجهد والمخاطرة بالدم من أجل الغير وفى سبيل صلاح المجتمع وبقاء النوع . ولولا هذه الغريزة لما خاض عنا غمرات الوغى وحمد لمكارهها الجند المدافعون ، ولا استعذب طعم الردى الشهداء المؤمنون ، ولا احتمل الأذى من أجلنا الهداة المصلحون ، ولا ارتقى علم ، ولا تقدم طب ، ولا تأسست منشآت البر والرحمة، ولا تعاونت الجماعات على تحسين نظام العمل وتقسيم الثروة ، وما إلى ذلك من مقومات المجتمع وموجبات كمال الحضارة ،ولما كدّت الأذهان وتوجهت المساعى لتأمين المستقبل وكفالة الأجيال القادمة .

وهذه الغريزة الكامنة القوية التى تخرج الفرد من أنانيته ليخدم الجماعة فى جميع ما أوردنا هى بعينها التى تدفع الفرد — شاء أو لم يشأ — إلى خدمة النوع والقيام على بقائه عن طريق تكوين الأسرة .

ولئن كان الزواج فى ذاته تنظيما للعلاقات الجنسية فى المجتمع ، فانه — فى رسومه وملابساته وآثاره — تهذيب لها وارتقاء بها ، فهو يخلع على العلاقات الجنسية قداسة الدين واحترام المجتمع ، كما يدخل عليها الود المتبادل وروح التضامن والمشاركة على صفو الحياة وكدرها .

فالزواج بهذين الاعتبارين انتصار على أنانية العقل وحيوانية الحس .

ولسنا نزعم أن هذه الغلبة فيها القضاء على المغلوب . ولكنها على كل حال تخفف حدته ، وتحد من شرته . فاذا الحس يلطف ويشف ، واذا أنانية الفرد تتسع للأسرة .

يضاف إلى ذلك أن مطالب الأسرة حافز للرجل على مضاعفة العمل والإنتاج. والزوج يد على الأعزب بأنه يعمل من غير ملل. فان ابتسامة لطيفة من طفله ترتسم على الفم الصغير الأورد لتنسيه ما لاقاه طول يومه من جهاد ومشقة . ولما كان لابد للحياة من غرض ، فلن تجد غرضا أشيع وأدنى إلى طبائع الكافة من الأسرة . وليكن عمل هؤلاء لعيالهم ، فإنهم من حيث لا يريدون إنما يخدمون بلادهم ، بما أبلوا من عمل ، وما أنجبوا من ولد . فعلى هذين يقوم حاضر الدول ومستقبلها . وهما الضمان لعلو كلمتها وبقاء صرح عظمتها الى أبد الآبدين.

ولكن ، ألا نقول كلمة عن الحب ، ونحن بسبيل الكلام عن الزواج بوصفه حاجة نفسية ؟

الحق أنه لا أمان للحب . فإنه أحيانا مثل حريق القش يشتعل و يتعالى لهبه ، فاذا بلغ الضرام مبلغه ، لم يلبث لحظة حتى ينهار صرحه ، ويخبو سعيره بسرعة يعز تصديقها . وعلى كل حال فإن الحب فى غلوائه وحدته الهوجاء ، وما لا يبرح يفزره من عقارب الغيرة و يعصف به من نوازيها ، غير موجب للطمأنينة الى قيام بنيان الأسرة عليه . و إنما يقوم البيت وتثبت دعائمه على ما يربط رجلا وامراة من اشتراك الشعور والتقاء الذوق وتوافق المزاج .

وليذكر من يشفقون من تبعات الأولاد مرحلة العمر الأخيرة ، وما لا بد يقعد بهم وقتئذ من عجز ، وما يرين عليهم من وحشة ، فالأولاد مهما قيل فى عقوقهم ، الذخيرة يوم لا ذخيرة . واذا تجاوزنا الجانب المادى الى العاطفى ، فهم قرة عين لآبائهم و بهجة قلب .

و إن الأب الفانى على فراش النزع يجود بالروح ، انما يذكر أولاده ويحرص على التفافهم حوله وهو يلفظ آخر نسمات الحياة ، لأنه — لاريب — يتعزى عن فقد الحياة بوجودهم ، ويشعر أنه بجسده وروحه حى فيهم . فهم العزاء حين ينقطع كل عزاء .

هذا حكم الزواج ، وهو أمر واقع لا محالة . وعاجله خير من آجله . وهو — كما رأينا — حاجة نفسية لبنى الانسان فى أوله وآخره .

عبد الرحمن صدقى

— هلكتْ أمة تعيش بفرد وتموت بفرد .

— من بَغَى بسلاح الحق ، بُغِى عليه بسلاح الباطل .

— بانى نفسه لا يبالى ما هدم .

— محاسنُ وجه الدار الجميلة ، ومحاسن وجه البلد الفنونُ الجميلة .

— من ساء خُلُقه اجتمع عليه نكد الدنيا .

— الطير لا تقرب أفقا فسد فضاؤه ، والحرية تهرب من بلد اختل قضاؤه .

— كاد صفح الوالد يسبق ذنب الولد .

شوقى

هل أنت زوجة صالحة ؟

امتحان يسير

هنا ١٤ سؤالا وضعتها مجلة " ليديز جورنال " الانجليزية لامتحان الزوجة . فيمكنك أيتها السيدة أن تقرئيها فاذا أجبت بنعم فاعطى نفسك درجتين ، فاذالم تستطيعى الاجابة بنعم فاعطى نفسك درجة ، واذا أجبت بلا فاعطى نفسك صفرا . ثم اجمعى الدرجات فاذا كانت بين ٢١ و٢٨ فانت زوجة نموذجية ، واذا كانت الدرجات بين ٨ و٢٠ فلا يجوز لزوجك أن يشكو منك . أما اذا كانت بين صفر و٧ فعليك أن تراقبى نفسك حتى لايتركك زوجك :

(١) هل تذكرين يوم ميلاد زوجك كل عام ؟

(٢) هل تتكرين على نفسك للاقتصاد بعض الأزياء الجديدة ؟

(٣) هل مازلت تحبين زوجك كما كنت تحبينه أيام الخطبة ؟

(٤) هل تتزين على رأيه حين يقول إن هذا الشيء غالى الثمن ؟

(٥) هل تكونين بالبيت وقت عودته من عمله وهل يجد الطعام مجهزا ؟

(٦) هل فى قدرتك تجنب الشجار وهل تكرهين سرد قصص الخلاف على صديقاتك ؟

(٧) هل تحسنين الطهى ، وهل يحب زوجك ألوان الطعام التى تطهينها ؟

(٨) هل توالين النظر فى ملابس زوجك وتصلحينها ؟

(٩) هل تواسينه وتخففين عنه عند ما تقع به ملمة أو حين يكون مهموما ؟

(١٠) هل تهتمين بهندامك فى البيت بمقدار اهتمامك به خارج البيت ؟

(١١) هل تقدمين لزوجك مايشتهى من طعام أو شراب ؟

(١٢) هل تسمحين لزوجك بأن يكون فى مباذله فى البيت ؟

(١٣) هل تمتنعين عن الخروج عند ما ترين زوجك متعبا ؟

(١٤) هل تحترمين النظام الذى يتبعه لمكتبه ؟

من ذكريات القرية

بقلم الآنسة ابنة الشاطئ

"في هذا المقال القيّم ، تجلو الآنسة ابنة الشاطئ صورة رائعة من حياة الريف ، وتعرض بعض ذكريات مؤثرة تهز النفوس وتبعث فيها الحنين إلى القرية وساكنيها ، ثم تلتفت الآنسة إلى ضجيج المدينة وطغيان المادة عليها ، فتهتف بأبناء القرية أن يعودوا إليها ليستردوا بعض النعيم الروحى والسعادة الفطرية ."

المحرر

هذا حديث أكتبه فى ليلة من ليالى الشتاء بالقاهرة ، ونفسى تفيض بالحنين إلى ليال طيبة حلوة أمضيناها فى الريف حول المدفأة ، نلتمس الحرارة والدفء ، ونطيل الحديث والسمر ، حتى يثقل النوم أجفاننا فنتجه إلى وادى الأحلام .

ولم تكن مدافئنا أنيقة غالية توقد بالفحم الحجرى ، وإنما هى بضعة أحطاب خشبية ، وقليل من أعواد الذرة الجافة ، تشعل فى مواقد متواضعة رخيصة من النحاس الأحمر أو الفخار الرخيص ، وتترك حينا فى فناء الدار حتى يهدأ لهبها وتطمئن الجمرات فيها . كانت مواقد رخيصة متواضعة ، ولكنها مع ذلك عزيزة علينا أثيرة عندنا ، قد شهدت أحلى ليالينا وأشجاها ، واستقرت عليها نظرات الحالمين والذاهلين الشاردين ، وعكست ضحكات السعداء الخليين ، وأنصتت إلى قصص السمار ومتاعب الرجال وأحلام الشباب وهذر الصبية الصغار .

كان المساء يلم بنا مبكرا فى الشتاء ، فنصمد لبرده القاسى ويمضى كل منا فى عمله متجلدا نافد الصبر ، حتى إذا ارتفع لهب الموقد فى فناء الدار وانتهت إلى أنوفنا رائحة الدخان هرعنا إلى النار نلبى نداءها ، وأحطنا بها فى شيء من التزاحم الرفيق ، ومددنا إليها الأكف نلتمس عندها الدفء لأجسامنا المقرورة المرتعشة ، والهدوء لأعصابنا المكدودة المتعبة .

هناك فى ذلك الجو الدافئ الفاتر ، كنا نحيط بالموقد فنحس نوعا غريبا من القرب والتآلف ، يربط بيننا جميعا حتى لنصبح قلبا واحدا يخفق فى هذه الأطياف الساهرة التى انحنت على النار فى هدوء واطمئنان ! يشكو أحدنا فيصغى الآخرون إلى شكواه فى عطف

ومواساة ، ويتكلم فينصت له الباقون فى رعاية واهتمام ، وقد يشرد أحدنا فيمضى فى وادى الأحلام ويحدثنا ذاهلا عن آماله الطوال العراض فنبتسم له فى رفق وإعزاز ، ونأبى أن نوقظه من أحلامه الحلوة لنرده إلى واقع الحياة .

هناك . . فى ذلك الجو الهادئ الكريم ، كانت أرواحنا تأتلف وقلوبنا تتقارب وخواطرنا تلتقى ، فتشيع فينا عاطفة فياضة من الحب والحنان ، تنسى معها متاعب الدنيا وأثقال الحياة .

كان ذلك فى الأمس البعيد .

واليوم ؟ اليوم يمضى بنا الشتاء فى المدينة فلا نار ولا سمر ، يشرد النوم عن عيوننا فيحتال عليه بعضنا بالإسراف فى اللهو ويحتال عليه آخرون بالإسراف فى العمل ، ويناوش البرد أطرافنا فنحتال عليها بقرب من المياه الساخنة نقذف بها بين الأغطية فتدفئ أجسامنا ولكنها لاتدفئ أرواحنا الظامئة المقرورة .

تشتت الشمل ، فلا نار ولا سمر ... تعطلت المواقد وأخمدت النيران التى كانت تجذب أبناء الأسرة الواحدة ، وتمنحهم بركة الحب العائلى ونعيم الدفء والحنان .

تشتت الشمل ، وتفرق أبناء البيت الواحد هنا وهناك ، محرومين من المتاع الروحى ، لأن البيوت هنا فى المدينة يعوزها الحب والدفء والحنان .

يأتى المساء فلا يهرع الناس إلى بيوتهم يقرون ويصطلون ، وإنما يتشردون فى شتى النواحى ومختلف الجهات . هؤلاء هم الرجال يعمرون النوادى والمقاهى . وهؤلاء هن النساء ، نرى بعضهن قد انطوين على أحزانهن فى البيوت يعانين آلام الوحدة الموحشة ، ونرى أخريات قد غادرن بيوتهن وملأن الملاهى والطرقات ، فإذا أوغل الليل وأدرك التعب هؤلاء وأولئك ، آووا إلى البيوت كما يأوى إلى الفندق مسافر أو عابر سبيل .

وتمضى الأيام ، وأفراد البيت الواحد لا يلتقون ولا يتقابلون ! ثم لا يزال أمرهم هكذا حتى تحل الرابطة المقدسة التى تربطهم جميعا وهى رابطة الحب العائلى ، فيصبح الزوج غريبا على زوجه ، والأب غريبا على ابنه ، والأخ بعيدا عن أخيه .

عندئذ لا يصبح البيت مأوى هادئا يلقى الإنسان فيه أهله وعشيرته ، ويريح فيه الروح والجسد ، ويجدد فيه العزم والنشاط ، ويلتمس عنده الحب والحنان ، وإنما يصبح البيت فندقا ينزل فيه قوم غرباء ، يأوى إليه الرجل ساعة الظهيرة وبعض ساعات الليل ، ليأكل ويلبس وينام ! وتلك مطالب مادية تافهة بجانب المعنى الأسمى للبيت ، مطالب تقوم الفنادق بتهيئتها لنزلائها على أدق وجه وأتم نظام ، فإن لم يكن للبيت إلا هذا المعنى المادى فما أخيب الرجاء !

إن فضيلة البيت تبدو فيما يشيعه فى النفس من راحة وسكون ، وما يهيئه للفرد من حب وأنس واطمئنان ، فإن أعوزه ذلك تساوى البيت والفندق ، وقد يمتاز الثانى بما فيه من الأناقة والنظام !

هنا تدركون لماذا فشلت أكثر البيوت عندنا فى اجتذاب أبنائها فنفروا عنها ضالين مشردين يلتمسون اللهو والتسلية بعيدا عنها ، ثم يأوون إليها للنوم والطعام .

أيكم يشعر الآن نحو بيته — وفيه ما فيه من نعيم مادى — بما يشعر به ذلك الطير الذى ينزع إلى وكره الذى درج فيه ، فلا يزال يلتمس الطريق إليه كلما ألم به الليل وأحاط به الظلام لا يرضى عنه بديلا ولا يعدل به أى نعيم ؟

أيكم يشعر الآن نحو بيته بما يشعر به الأعرابى حين يهبط حواضر المدن فلا يصرفه جمالها عن ذكرى بيته ، وما بيته إلا خيمة ضئيلة بين صخور تسفعها الهاجرة ، ورمال تغلى الدم وتصهر العظم .

أيكم يقف على بيت له قديم ، وما أكثر البيوت المهجورة فى مصر ، فيهزه الحنين إلى ماضيه ، ويهيج فيه الشجن لذكرى الأيام الخوالى والأمس البعيد ، ويقف تلك الوقفة الحزينة التى كان العرب البداة يقفونها أمام أحجار ضئيلة هى كل ما بقى من أطلال ماضيهم البعيد ،

لقد كان الواحد منهم يقف بالطال ، فيهتز ويبكى حتى ليكاد يُبكى الطلل وهو جماد !

وقف زهير على أطلال داره بعد عشرين عاما ، وقف يذكر ماضيه ، ويسكب عندها دمعة كبيرة حارت فى مقلتيه طويلا ولم يخففها الزمن فى عشرين عاما .

ووقف النابغة الشيخ أمام أطلال لدار نعم ، يحييها ويسألها عن فتاته الحبيبة ويتوسل إليها أن تعيد إلى سمعه ما وعته من أخبارها فى لياليها الخوالى ، فاستعجمت دار نعم لا تكلمه ، ومضى الشيخ عنها ذاهلا محزونا !

ونحن الذين نزعم أن المدنية هذبتنا وصقلت حواشينا ورققت عواطفنا ، نحن الذين قد نأنف من خشونة العرب البداة وجفوة الفلاحين الغلاظ ، نحن نمر اليوم بربوع أقمنا فيها زمنا وأمضينا فيها أياما وليالى من ماضينا وهو قطعة منا ، نمر بهذه الربوع فلا تهزنا ذكرى ولا يشجينا الحنين ، وإنما نتجاوزها عابرين مسرعين ، لا نحيى فيها ماضينا ولا يهفو بنا الشوق إلى الأمس البعيد .

فيم هذا الجمود ؟

لا شىء إلا أن أكثرنا لم يستمتع بالحب العائلى بين هذه الربوع ! كان يقيم فيها كما يقيم عابر السبيل فى أحد الفنادق ، ثم يغادره فى الصباح فلا يعوده منه ذكر ولا يعاوده إليه حنين !

ثم قست القلوب من بعد ذلك فأثقلتها المادة ، فلم تعد تحس حنينا إلى الحنان والدفء المنزلى ، ولم يعد يعنيها من دنيا الناس إلا المطالب المادية ، أما النعيم الروحى فقد أسقطته من حسابها فهو عندها شىء تافه يشبه خيال الشعراء وأوهام الحالمين .

وغدا أو بعد غد ، تدركنا الوثنية المادية فنقدس القرش ، ويصبح الرغيف وحده هو السيد المتحكم فى علاقتنا بالناس ، ووراء ذلك يهون المتاع الروحى والسمو النفسى وكل شىء !

كلا أيها الناس !

يجب أن نحارب هذه الأوضاع الكاذبة ليسلم لنا جمال النفس ونعيم الروح .

يجب أن تردوا إلى البيت مكانته الأولى ، لكى يعود إليه أبناؤه المشردون ، فيجدوا الراحة والحب والاطمئنان ، ويضعوا عن كواهلهم أثقال الدنيا ومتاعب الحياة ، ليعودوا إلى الحياة بقوة جديدة وعزم جديد !

لقد جاء فصل الشتاء ، فهيئوا جلسات السمر البريئة حول المدفأة ، وأوقدوا النار فى البيوت ، فقد أفلحت النار من قديم فى اجتذاب الضالين المشردين ، ومنحتهم نعمة الاطمئنان والاستقرار .

أوقدوا النار لكى تدعو أبناء البيت وتجمعهم فى مكان واحد بعد أن فرقت بينهم أكاذيب المادة وأوضاع الحياة ، تجمعهم فى جو هادئ يخدر الأعصاب ويدفئ الروح ويغرى بالألفة والوداد .

هكذا كان العرب البداة يفعلون حين تهزهم نخوة الكرم ، أو يلح عليهم الحنين إلى الدفء والسمر ، هذا سيدنا موسى عليه السلام " آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . "

وهذا حاتم ، فتى طيء ، كان إذا أظلم الليل يقيم غلاما له يوقد النار باليفاع لتدعو الذين استبد بهم الجوع أو هفا بهم الشوق إلى الدفء والسمر فإذا تباطأ الغلام هتف به حاتم :

أوقد فإن الليل ليل قر　　　والريح يا غلام ريح صر

عل يرى نارك من يمر　　　إن جلبت ضيفا فأنت حر

وهذا هو عدى بن زيد العبادى ، كان إذا ألح عليه السهد هتف بفتاته :

يا لبينى أوقدى النارا إن من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

وأنا الأخرى أهتف بكم أن توقدوا النار حتى إذا آنسها المتعبون المشردون فى جوانب الوادى ، هفوا إليها من بعيد ، واتجهوا إليها يلتمسون عندها الدفء والاطمئنان .

أوقدوا النار لتدعو المسهدين الذين ألح عليهم السهاد ، والمتعبين الذين أثقلتهم تكاليف العيش فى دنيا الناس ، والمحرومين الذين يشجيهم الظمأ إلى الدفء والسمر .

فإذا التهبت الجمرات الحمر فى المواقد ، وانحدر نداؤها فى ليالى الشتاء القاسية المظلمة ، أصغى إليها المقرورون والمشردون ثم خفوا اليها سراعا يلبون النداء .

بنت الشاطئ

— قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه .

— أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

— لا تستح من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه .

— العفاف زينة الفقر .

— من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليؤدبهم بسيرته قبل أن يؤدبهم بلسانه . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

على بن أبى طالب

البيت

ليس فندقا ولا مطعما

يحسن الانجليزحين يفصلون فى اللغة بين المنزل و بين البيت . فالأول House أى البناء الذى يضم الأسرة والثانى Home أى الأسرة التى يجمعها الحب و يربطها الدم . والواقع أن لنا فى اللفظين العربيين مثل هذا المعنى . فان بيت الرجل أسرته وهو غير المنزل الذى هو مسكنه . ومن الحسن أن نؤكد هذا المعنى لأن له مغزى اجتماعيا مفيدا .

و يزيد الانجليز على هذا المعنى معنى آخر وهم يشتركون فى ذلك مع كثير من الأمم الأوربية. فان للبيت عندهم اسما آخر هو لفظة Hearth أى الموقد الذى يجتمع حوله أعضاء الأسرة للاصطلاء. و يقابل هذه الكلمة عند الفرنسيين كلمة Foyer ولما كان البرد فى معظم الأقطار الأوربية يزيد على ثمانية أشهر فى العام فان الموقد يجمع الأسرة نحو ثلثى السنة أو أكثر. وهم فى هذا الاجتماع يتحدثون و يتسامرون. ومن طبيعة البرد أن يجمع و يضم و يكن، فى حين أن الحر أو الدفء يشتت و يجعل الافراد يجنحون الى العزلة و يقصدون الى الخلاء. ولعل لتوثق الروابط بين أعضاء الأسرة فى الغرب أصلا فى هذا الموقد الذى لا تخلو منه غرفة فى منزل أوربى . فان النار تجذب بلمعتها العين ، والدفء يريح الأعضاء و يرخى العضلات . فما هو إلا أن يحضر الأب والأبناء حتى يتكأكأوا أمام الموقد فيثار الحديث وتتصل الأرواح فهذا يبث شكواه وذاك يقص اختباره وآخر يشرح إحدى الحوادث . ومن هنا صار الموقد يعنى البيت .

وليس فى مقدورنا أن نحيل جونا الى البرد الذى يعانيه الأوربيون . و إن كان لنا فى الأشهر الثلاثة التى ينالها منا الشتاء مايبرر إيجاد موقد لكل منزل . فان لياليا الشتوية تضطرنا إلى أن ينفرد كل منا بفراشه بعيدا عن سائر أعضاء الأسرة . ولو عنى أصحاب المنازل بتوفير المواقد فى منازلهم لما كلفهم هذا نفقات كبيرة . وهم بذلك يخدمون الاجتماع المصرى و يعملون لربط الأسرة .

ولسنا نعنى تبرير الحال القائمة فى كثير من العائلات حين نجد رب البيت يهجره الى القهوات والأندية والملاهى . ولكنا لانستطيع أن نتغافل عن قيمة الموقد فى الاجتماع. هذا الموقد الذى لايزال يجمع أبناء الريف عندنا .

و بعد ذلك نقول إن بيننا من الأزواج بل من الشبان العزب من ينظرون إلى البيت كأنه فندق أو مطعم . يخرجون مبكرين الى أعمالهم فاذا عادوا للغداء تناولوه فى عجلة وصمت . ثم انكفأوا الى الفراش للقيلولة . و بعد ذلك يسرعون الى الخروج حيث القهوة أو الملهى وإخوان الصفاء . و يعودون متأخرين الى البيت للنوم . فالبيت عندهم فندق للنوم ومطعم للطعام . والزوجة والأولاد لايتمتعون بالمؤانسة أو المسامرة التى هى من حقهم على الوالد . بل الوالد هنا يكاد ينسى واجباته نحو أبنائه بل هو ينتهى إلى أن يعتبرها "من شؤون الأم" ثم تتفاقم هذه الحال فيعتاد الزوج غشيان القهوة أو الملهى أو النادى كأنه لازمة لايمكن الاستغناء عنها و يعتاد الانفصال من الزوجة كأنه فى طبيعة الأشياء . ثم تنتج من ذلك نتائج تتفاقم وتسوء بمرور الزمن .

وأولها أن المزاملة بين الزوجين تنعدم و يصير لكل منهما أصدقاؤه . وهذا ضرر كبير فى ذاته . لأن الزوجة فى حاجة الى إرشاد الزوج الذى تعلم فى أغلب الحالات أكثر منها وعرف من الشؤون العامة والخاصة ما لم تعلم ، فمن واجبه كما من حقها أن تستنير بحديثه وأن تنمو معه نموا ذهنيا وثقافيا . وهو حين يفعل ذلك يأتنس بها كما يجد أن أولاده ينتفعون بهذا النمو فى تربيتهم التى يزيد حظ الأم فيها على حظ الأب . والزوجة المصرية التى يتركها الزوج والتى تقتصر معاشرته لها على المساكنة دون المزاملة جديرة بأن تتخلف عنه . ويزداد التخلف بمرور الزمن حتى تعود أغرب الغرباء عنه إذا تحدثت أو اشتركت معه فى مناقشة ، لها عقائد خاصة وعادات خاصة وأسلوب معين فى المعيشة لايتفق والصورة التى ارتسمت فى ذهنه من الأسرة فاذا وصلت الحال الى ذلك شعر الزوج بالانفصال الروحى بينه و بينها ، وهو عندئذ قد يقع فى مغريات تهدد كيان الأسرة وتشتت أفرادها . هذا الترك للبيت يؤذى الأولاد لأنهم يحرمون من النصيحة الأبوية ومن ميزات الثقافة والخبرة التى يجب أن يمتاز بها على الأم .

ويحسن بكل زوج أن ينظر فى نفسه : هل يرى مثل هذه الصورة تنطبق عليه؟ وأن يسأل نفسه هل هو يعيش فى منزل أم فى بيت ، وهل هو يعامل زوجته كأنها زميلته ، وهل هو يقصد الى تنويرها وتثقيفها بالكتاب والجريدة والمجلة والمرافقة الى الزيارات وإلى المتاحف والمسارح ؟

ولسنا ننكر أنه يشق أحيانا على الزوج أن يحمل زوجته على النمو الذهنى . لأنها إذا لم تكن قد حصلت على تربية ثقافية متوسطة فقد يصعب عليها فى كثير من الأحيان أن تساير زوجها أو تتبع إرشاداته . ولكن عليه ألا ييأس لأن اليأس هنا سيؤدى فى المستقبل الى الانفصال الروحى بينهما . وهو اذا ثابر على المجهود فان البذرة التى يزرعها سوف تبرز يوما الى الحياة وسوف يجد عندئذ فى زوجته زميلا بل صديقا يشتاق الى حديثه وملازمته .

فلكى نجعل منازلنا بيوتا نحبها ونؤثر الراحة فيها على القهوة أو الملاهى يجب أن نتخذ من زوجاتنا زميلات لنا وذلك بتربيتهن حتى يرتفعن الى مستوانا فنشترك معهن فى هموم وشؤون تربطنا . فاننا الآن قد نترك الزوجة لكى تتحدث إلى صديق فى القهوة عن السياسة الخارجية أو الداخلية . فلم لا نثقف زوجاتنا حتى نستطيع أن نعلمهن ونثيرهن فى هـذه الموضوعات فنأنس بحديثهن فيها ؟

يجب بعد ذلك أن نجعل البيت حاويا لكثير من المسليات التى تغرينا بالبقاء فيه . وهذه المسليات تختلف باختلاف القدرة المـالية . فان الأسرة الثرية تستطيع أن تشترى مائدة البلياردو التى تكلف نحو خمسين جنيها . ولكن الأسرة الفقيرة يمكن أن تقنع بصندوق النرد أو الشطرنج ، كما أن الكمان أو البيان أو العود أو غيرها من الأدوات الموسيقية يجب أن تكون ملوة سامية لأحد أعضاء الأسرة أولهم جميعهم . ثم هناك هوايات مختلفة تغرى بالبقاء فى البيت مثل تربيـة الأشجار والنباتات الغريبة و إيجاد ملعب فى الحديقة . وهنـا يجب ألا نجهل قيمة الموقد التى شرحنا أثرها فى أوربا .

والزوج الراقى لا يمكنه أن يستغنى عن مكتبة . وهو يحسن اذا جعل من نفسه مستشارا فنيا يشير على زوجته وأولاده باختيار الكتب المفيدة . وصحيح أنه هنا يجد ركودا مؤلمـا من الزوجة التى لم تتعلم . ولكن عليه بالمثابرة ولابد أن يظهر للجهود أثره فى المستقبل . كما أن عليه من وقت لآخر أن يحمل أعضاء الأسرة على نزهة مفيدة إما الى متحف وإما إلى حديقة بعيدة . فان الفائدة هنا لا تقتصر على ما يعود على الصحة الجسمية من الحركة والتنزه ، بل هناك فوائد أخرى فى مقدمتها أن يكون الزوج بين أولاده يربيهم ويؤنسهم ويمتعهم بشخصه .

كذلك يجب إيجاد الأثاث المريح دون الأثاث المزخرف الذى يشيع فى بعض الأوساط عندنا . كما أنه يجب — إذا تيسر ذلك — تخصيص غرفة للجلوس . فان غرفـة الضيوف تعنى بها الزوجة عادة ، لأنها تحب أن تبقى ناصعة تفخر بأثاثها أمام الزائرين . ولذلك ينبغى أن تكون بكل بيت غرفة تعد للجلوس حيث يجتمع أعضاء الأسرة . وعدم وجود هـذه الغرفة قـد يكون سببا لكراهتهم للاجتماع . بل يجب أن تكون هـذه الغرفة خير مافى المنزل جامعة لاسباب المسرة والراحة .

دعامتان قويتان

لإصلاح حال الفلاح الصغير

للدكتور محمد أبو طائلة

أجريت تجارب كثيرة لإصلاح حال الفلاح الصغير ، والارتفاع بمستوى معيشته ، سواء فى ميدان التعليم ، أو الصحة ، أو الزراعة أو الاقتصاد . وقد خرج ولاة الأمور من تلك التجارب بنتيجتين جعلتهما إدارة الفلاح المنشأة حديثا دعامتين أساسيتين لكل إصلاح تبتغيه لأحوال الفلاح الصغير : (الأولى) أن وجوه الإصلاح المختلفة يجب أن تتم فى وقت واحد (والثانية) أن الفلاح يجب أن يؤمن بضرورة الإصلاح وفائدته ، ويساهم فيه بالنصيب الأوفى ، وعلى الحكومة الإرشاد والتوجيه والمعونة المالية .

ولقد جرب التعليم وحده زمنا ما ، ونشرت المدارس الإلزامية فى القرى والكفور ، ولكن ما فائدة تهذيب النفوس وحشو الرءوس ، اذا كانت المعدة خاوية وكان الجسم ضعيفا مريضا وهل يقبل الجائع على الدرس ويلتذ المريض بالعرفان ؟ وهل ليس الرغيف فى هذه الحالة أثمن من الكتاب ، والدواء أجدى من الحساب ، والكساء أنفع من جاء زيد وضرب بكر ،

كذلك جربت الصحة بوجهتيها : الوقاية والعلاج ، فردمت برك ومستنقعات ، وحوربت الملاريا وكوفحت البلهارسيا والانكلوستوما ، ونشرت بين الفلاحين ارشادات صحية سمعوا فيها حتا على النظافة وحضا على مجانبة أسباب المرض ، وأقيمت مستشفيات ومراكز لرعاية الطفل ، وجىء بالأطباء للعلاج ، وصرفت الأدوية بالمجان أو بأجر زهيد . ولكن الفلاح ظل رغم كل ذلك عليلا هزيلا ، كلما دعى الى الاستمساك بأسباب الصحة ووسائل النظافة ، حال فقره دون ذلك ، وكلما وصف له العلاج الناجع ، ردّه جهله الى العادات البالية ووضعه بين براثن المرض .

ثم جربت الزراعة والاقتصاد ، من إرشاد زراعى وتعاون بين الزراع ، فألقيت على الفلاحين محاضرات ، ووزعت نشرات ومجلات . وأسست بينهم جمعيات بعد جمعيات ، ولكنهم بجهلهم لم يدركوا كنه الإرشاد ولم يدروا حقيقة التعاون ، وانفقرهم لم يستطيعوا حسن اختيار البزور ولم يشتركوا فى الجمعيات التعاونية .

وهكذا تجد الدائرة مفرغة الحلقات ، اذا جئت الفلاح من ناحية العلم صدك عنه المرض والفقر ، واذا غمزته من جانب الصحة ردك الفقر والجهل ، واذا لمسته من ناحية الزرع والنفع ذهب الجهل بكل فائدة ترجى .

ولقد تسمع بعض الدعاة المصلحين ينادون بأعلى أصواتهم قائلين إن الفقر وحده أصل البلوى وسبب الشقوة ، فاذا كوفح زالت معه الجهالة وولت الأدواء بفعل ساحر . فلنجار هؤلاء الدعاة فى دعوتهم ، فليس أشق على نفوسنا من أن نرى الفقر فاشيا بين صغار الزراع ، وليس أحلى على أسماعنا من رنين الذهب ينثر على رءوسهم نثرا ، ولكن ماقول اولئك الدعاة فى الفلاح عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٠ حين ارتفعت أسعار القطن والحاصلات الأخرى اضعافا مضاعفة فامتلأ جيبه وعمر بيته وكثر خيره ؟ أتراه يومئذ قد ارتقى صحة وارتقى علما وثقافة ، أم عجز الرخاء وحده عن تحسين الصحة وتثقيف العقل . وبقى الفلاح مريضا رغم رغده ، جاهلا رغم يسره ؟ بلى وقد أودى الجهل فى النهاية بكل ماكسب من مال ، فبدده فى أيام معدودات ولم يدخر منه مايعينه على السنوات العجاف التى تلت وقت العز والمناعة .

الحق أن وجوه الإصلاح الثلاثة لازمة معا ، ولا غنى لأحدها عن الآخرين . فعلاج الفقر لا يكفى وحده ولا بد معه من العلم والصحة . والحال كذلك مع الصحة اذا عولجت وحدها ومع العلم اذا نشر وحده .

وإنما يرتقى الفلاح و يرتفع مستوى معيشته اذا زاد دخله ، وعولج مرضه ، وثقف عقله فى آن واحد ، فإن هذه الثلاثة متوازنة يعاون كل منها الاثنين الباقيين ، فالرغد يساعد على حفظ الصحة واستيعاب المعرفة ، والصحة تعاون على زيادة الدخل وفهم الحقائق ، والعلم يبصر بوسائل الكسب والاحتفاظ بالصحة .

وعلى هذا الأساس تعمل ادارة الفلاح فى سعيها لإصلاح حال الفلاح ، وعلى هذه العمد الثلاثة نبت مشروع (المراكز الاجتماعية) الذى لم يئن الأوان بعد لشرح مراميه وتفصيل غاياته .

أما القاعدة الثانية التى يقوم عليها الإصلاح فهى إشراك الفلاحين أنفسهم فيه ، ويتخذ ذلك خطوات وأشكالا متتالية :

(أولا) إقناع الفلاحين بضرورة الإصلاح ونفعه .

(ثانيا) إشراكهم فى إنفاذ الإصلاح قدر إمكانهم ومعاونتهم عليه بكل وسيلة .

(ثالثا) جعلهم يحرصون على الاستفادة من مشروعات الإصلاح وصونها من الزوال .

ولقد بوشرت إصلاحات حكومية كثيرة لفائدة الفلاحين ، ولكنهم بقوا عنها بمعزل لأنهم لم يؤمنوا بداءة بضرورتها ونفعها ، ولم يساهموا فى إقامتها تبعا لذلك الإيمان ، ثم لم يقبلوا عليها كل الإقبال المرجو ، ولقد قضت ظروف الفلاحين منذ عهد المماليك ثم منذ الفتح العثمانى بأن يرتابوا فى كثير مما يحيثهم عن طريق الحكومة ، ولم يعلم أكثرهم ان العهد قد تغير من زمان بعيد ، فصارت الحكومة لا تنشد غير نفعهم وصالحهم . ولن يزول ذلك الوهم من أذهانهم الا بإرشادهم وتوجيههم حتى يقوموا بالإصلاح المنشود بأنفسهم ويروا الحكومة تعاونهم على إتمامه بالمال والرجال .

أما قيام الحكومة وحدها بالإصلاح فانه مهما تكبر فائدته غير مضمون الثمرة ، ولا مكفول البقاء . وهل أتاك حديث برك ردمت ثم أعيدت بركا كما كانت ، وصهاريج لماء الشرب العذب أقيمت ، فلم يكد ينتفع منها أحد ، ومراحيض صحية شيدت فتركها الفلاحون الى شواطئ الترع كما اعتادوا ؟

إنما يتم الإصلاح على الوجه الأكمل حين يؤمن به الفلاحون ويقومون به بأنفسهم ثم يقبلون على الاستفادة منه وصيانته .

والإصلاح فى هذه الحالة لا يكلف الا جزءا قليلا مما يكلفه لو قامت به الحكومة وحدها ودون اشتراك الأهالى فيه .

وخير ما يكون ذلك الاشتراك عن طريق الجمعيات التعاونية التى تجمع بين الفلاح الصغير والفلاح الكبير ، وتوحد بين مصلحة الأفراد ومصلحة المجموع ، وتشمل الخدمات المادية والاجتماعية معا ، والتى تمثل جهود الشعب الى جانب جهود الحكومة ، والشعب اذا أراد فعل ، واذا آمن أقدم ، واذا أقدم فلن يصده شىء عن سبيله .

محمد أبو ظائلة

فنلندا

" مترجمة عن مجلة ريدرز دايجست "

"سيومى" هم الاسم الشعبي لفنلندا، فهو الاسم المحبوب المتردد دائما على كل لسان وكل فنلندى يحب بلاده ويستحوذ حبها على قلبه وآماله وأعماله . وتحاط الوطنية الفنلندية أحيانا بإطار غريب من المظاهر يشكك بعض الناس فى حقيقتها . والفنلنديون شديدو الشغف " بالسيمفونيات " الساحرة التى وضعها فنانهم الموهوب " جون سيبليوس " ، وميالون إلى الرياضات العنيفة ، وبخاصة العدو مسافات بعيدة على النمط الذى رسمه بطلهم المحبوب " بافونيرمى " وكلتا الهوايتين تصدر عن تعصب وطنى عميق .

وفى وقت ما ، حاول القيصر إخماد الروح الوطنية الفنلندية ، وعمل على الفصل بين الفنلنديين والروسيين ، ولكن هاتين المحاولتين كانتا تبوءان بالفشل كلما اجتمع الشعبان فى الحفلات الرياضية الدولية التى كان يظفر فيها الفنلنديون بفخر التفوق ، ولا تزال البطولة الفنلندية إلى الآن مصدر انتصار فنلندا فى كثير من الميادين ، وكان المقدر لدورة عام ١٩٤٠ للألعاب الأوليمبية أن تقام فى هلسنكى (عاصمة فنلندا) لولا ظروفها السياسية الأخيرة .

وفى تلك الفترة المظلمة التى قاست فيها فنلندا الأهوال الجسام بسبب ثباتها على عقائدها الروحية الكريمة كان فنانها الأول " سيبليوس " يوجه كل مواهبه ويجمع كل إحساساته الثائرة للذود عن حريتها ، وما لحنه الخالد " فنلنديا " إلا صورة رائعة عبقرية لبلاده الحية وإيمانها العميق بمثلها العليا ، ومن أجل هذا حاربه البوليس القيصرى أينما سمعه .

وجمعيات التعاون التى بلغ عددها ستة آلاف والتى تضم أكثر من ثمانمائة ألف عضو من الفنلنديين هى أبلغ دليل على وحدة جهودهم ، وتضامنهم الوطنى الوثيق .

وللوطنية الفنلندية وجه آخر ، فالشرف الوطنى ، الذى أثار حروبا عديدة هو من صميم الآداب الشعبية التى يتحلى بها الفنلنديون . وليس أدل على ذلك من أن فنلندا نفسها قد تدت

خمسة ملايين من الجنيهات من ديون الحرب التى كانت فى ذمتها للولايات المتحدة ، والتى يبلغ مجموعها ثمانية ملايين ونصفا ،

ولفنلندا مناعة روحية عجيبة ، فعلى الرغم من السبعمائة سنة التى هى عمر اتحادها مع السويد لا تزال محتفظة بكامل شخصيتها التى ظلت دائبة على الاستمساك بها حتى وقوعها فى قبضة القيصرية حينما كان نابليون الجبار يشعل نار الحرب فى كل نواحى أوروبا فلما اندلع لهيب الثورة الحمراء شعرت فنلندا المظلومة بأن أجراس الخلاص بدأت تدق ، وبضربة باسلة حطمت الجيوش الروسية ، وطردت فلولها من كل شبر من أراضيها ، وما أشرقت شمس ١٧ يوليه سنة ١٩١٩ حتى كان الفنلنديون فى الطرقات والمنازل يرقصون ويغنون احتفالا بقيام جمهوريتهم الجديدة .

والفنلنديون رجال صمت وتقشف ووقار ، لا تصرفهم تقلبات الجو القاسية المستمرة عن مبادئهم النبيلة سواء ذلك فى النساء والرجال ، وإن خلق الجلد الذى يتميزون به لهو مستمد من فطرتهم السمحة المشربة بالصبر والاحتمال ، وليس أعجب فى هذا الباب من الحمام الفنلندى الذى يسمونه (ساونا) ، لتتصور غرفة ضيقة مغلقة ، ليس بها إلا كوة صغيرة فى السقف يتصاعد منها الدخان المنبعث من جمرات متقدة بلهيب أحمر خافت ، وبين تلافيف الضباب الكثيف نرى إذا استطعنا ذلك عددا من الفنلنديين راقدين على ظهورهم يدلكون أعضاءهم فى ذلك الجو الخانق ، حتى تكتوى جلودهم ، وما هى إلا لحظات حتى يقفزوا من مراقدهم الصخرية الخشنة ليغطسوا متسابقين فى بحيرة من ذوب الجليد وهم يرسلون صيحات الفرح والابتهاج ، وذلك فى ظنهم يفسر قدرتهم الرياضية التى صارت جزءا من طبيعتهم ، وقد بلغ من تشبثهم بتقاليدهم أن احتفظوا بذلك الحمام بعد أن أدخلوا فى منازلهم الوسائل الحديثة للاستحمام ، معتقدين أنهم إذا أهملوه ذهبت عنهم صلابتهم وقوتهم الفولاذية وحلت محلهما الدعة والطراوة .

وفى السنين الأخيرة تحول نخوهم الى زيادة نسبة التعليم التى صارت تسعين فى المائة فأصبح لهم بذلك شرف الجمع بين جمال الجسم وجمال الفكر .

وهلسنكى ، العاصمة الأنيقة الفسيحة ، تعتمد على نفسها فى كل أمورها ، وهندسة البناء فيها تتميز بطابع الابتكار والقومية والجرأة ، والروح الديموقراطية اللطيفة هى السائدة بين سكانها الذين يبلغون ثلثمائة ألف من النفوس إذ تختفى فيها الفواصل الاجتماعية بين الطبقات وحتى قبل حصول فنلندا على استقلالها كان مباحا لفتياتها الالتحاق بالجامعة والدخول فى ميادين العمل المختلفة مع أن بقية دول أوروبا لم تكن قد أباحت مثل هذه الامتيازات للمرأة .

وعلى الرغم من تلك المدنية العريقة فإن بعض الأقاليم الريفية فى فنلندا لا يزال نساؤه يرتدين الزى الفنلندى القديم ذا الأكمام الطويلة " والمرايل " الفضفاضة والألوان الزاهية على حين أن نساء بعض المناطق الأخرى قد اقتبسن الزى الأوربى الحديث المتاز بالبساطة وسلامة الذوق ، كما اقتبسن معه طرق التجميل العصرية .

ولألحان " سيبيليوس " وقطعه الموسيقية الرائعة تأثير عميق فى نفس الشعب الفنلندى فهو حين يسمعها ينسى أنوار المدنية الخاطفة ، ويشعر أن " سيبيليوس " يقوده إلى قلب غابات فنلندا الكثيفة ، ويهيم به فى أوديتها الناضرة ومراعيها الغزيرة ، ويسمعه خرير المياه لمتحدره فى حنو وجلال من القنوات المتموجة المتشابكة ، ويريه رأى العين القوارب البخارية الرشيقة وهى تخر عباب البحيرات الفضية ، كما يأخذه إلى الشواطئ السندسية حيث تسير النقالات النهرية الضخمة ، المشدودة بالحبال ، فى صمتها الشعرى بين الشاطئين .

وفى هـذا العالم الحافل بالطمع لا تنظر فنلندا القانعة إلى ما بيد غيرها ، ولا تريد فرض فلسفتها السياسية ولا الزراعية على دولة من الدول ، بل هى لا تشتهى إلا أن تعيش فى عزلتها الهـادئة .

ولكن هل يستجيب العالم لرغبتها هذه ؟ . . ذلك ما يعرفه المستقبل وحده .

— عاتب أخاك بالإحسان اليه ، واردد شره بالإنعام عليه .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن .

— من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

— الناس أعداء ما جهلوا .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواطن الخطأ .

وقتهم من تبر

فهل وقتنا من تراب ؟

بقلم الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

تكاليف الحياة ، فى الوقت الحاضر ، كثيرة ، ومطالبها متعددة ؛ وحقوقها وواجباتها تنمو وتتجدد على مر الأيام وكر الأعوام ، وهى طافحة بالضروريات والكماليات ، مليئة بشتى وسائل الرقى والتقدم ، وقد كثرت النظم والقوانين كثرة اقتضتها هذه المدنية الحديثة بسبب ما تفيض به من المنافسات ، والحوادث ، والحروب ، وتنازع البقاء ، وما إلى ذلك من ملابسات الحياة فى العصر الذى نعيش فيه .

والعمر قصير ، وإن طال ، والحياة فسيحة المدى ، بعيدة الأمد ، والمرء بينهما لقى معذب فأيامه محدودة ، وساعاته معدودة ، ولكن آماله ، وحاجاته وواجباته لا تكاد تنقضى أو تنتهى إلى حد . وهو فى كل ذلك لامناص له أن يماشى الزمن فى تجدده ونهضته ، وسيره وسرعته ، فاضطر أن يخصص شطرا كبيرا من عمره للتكوين والتهذيب ، والثقافة والتعليم ليكون قوى الجسم كبير العقل ، عظيم الخلق ، كيما يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة وهو مسلح بأقوى سلاح . واضطر كذلك ، بحكم طبيعته ، أن يحدد الشطر الآخر من عمره للنزول فى ميدان الكفاح الحيوى من أجل كسب العيش ، وجلب الثروة لنفسه وذريته ووطنه ، ثم لاتلبث الشيخوخة أن تسرى فى جسمه سريان السم فى الدم ، فتضعف قوته ، وتنهك صحته ، وما هى الا عشية أو ضحاها حتى تجعله أثرا بعد عين .

كل أولئك ينطق بأن الوقت نفيس ، وأن قيمته عظيمة ، لأن العمر قصير مقسم ، والمطالب كثيرة عسيرة لا تنال إلا بمداومة الكد والكدح والحرص على كل لحظة من لحظات الزمن الذى إن ضاع سدى فلن يعود أبدا ، وإن مر بلا عمل جر الخيبة والفشل .

والوقت للعمل كالأرض للزرع ، إن حافظ الزارع على أرضه فأصلحها وفلحها وشقها ورواها ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . وإن أهملها وأعرض عنها وتركها هامدة خبثت منظرا وساءت مخبرا وأخرجت له الشوك والقتاد والهشيم والحطام . كذلك

الوقت إن حرص عليه الانسان وعمل فيه بصبر وثبات ونشاط وحزم ، استفاد منه وأفاد . و إن بذر فيـه ، واستهان به ولم يقم له وزنا ، كشر له عن نابه ، ثم رشقه بسهامه ورماه بنبـاله ، واستعصى أن يعود أو أن يقف بين يديه فلا هو منه قـد انتفع ولا هو عن أذاه قد ابتعد .

فما أشبهه بالكهرباء إن أحسن المرء استخدامها جاءت اليـه طائعة مستسلمة فاستغلها فى قضاء مصالحه وتحصيل مآربه ، و إن جهلهـا فأساء استعمالها تحولت إلى صاعقـة قاتلة أو شهب فاتكة .

والأمم الراقية قد أدركت هذا جميعه ، وعرفت قيمـة الوقت ، فحرصت عليـه حرص البخيل على درهمه ، وانتفعت بكل فترة من فتراته ، وكل لحظة من لحظاته ، فأفرادها فى شغل دائم ، وعمل متواصل ، بعزمات صادقة و إرادات لا تهن ولا تفتر . حتى اتسم هذا التطور الحديث بالسرعة الخاطفة ، والدقة الحـازمة . وولى عصر الإبطاء والتكاسل ، وحل مكانه عصر المخترعات والمبتكرات التى توفر الزمن ، وتجعل البعيـد أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، ليتوافر لديه مجهوده فينفقه فيما يعود عليه بالربح الجزيل فى الوقت القليل .

وكان من نتائج هذا أن نعمت المجتمعات الراقية بأوقات عملها وفراغها فزاد انتاجهـا المـادى فى الصناعة والتجارة والزراعة ، وتضاعف محصولها الادبى فى الثقافة والعلم والأدب والصحافة والتأليف . وشعرت شعورا حقيقيا بما فى الحياة من نعمة ومتاع ومباهج ، فأخذت منهـا بقسط وافر وجالت فى ميادينها الفنية والعلمية والرياضية-والاجتماعية والخلقية توصلا إلى الكمال الإنسانى المنشود .

وأقوى الأمم وأرقاها ، فى كل عصر ، من نشط أفرادها فى ميادين الكفاح فكانوا جنودا مجندة فى تكوينها و إنشائها وتقويمها و إصلاح شئونها العمرانية والاقتصادية ، وقاموا بأكبر نصيب من الانتاج فى أقرب زمن ، وافترصوا الفرص فلم يضيعوها ، وقبضوا على ناصية الأيام فلم يغفلوها ، واستغلوا أوقاتهـم فيما يعود بالخير والبركة ، وقدروا العمر حق قدره ، فأدوا الواجبات فى أوقاتها ، ودبروا الأوقات لواجباتها ، وساروا على نظام محكم فى عملهـم وراحتهم ، وفى كدهم وفراغهم وسـائر مرافق حيـاتهم . كما هو الواقع فى كثير من بلاد أمريكا وأوربا .

ونحن ، المصريين ، قـد أغوانا العيش السهل فى البلد السهل ، فقل استعدادنا للحياة القاسية ، وأصبحنا نستطيب الراحة والدعة ، ونستمرئ الخمول والسكون ، ونستهين بالوقت أن يمر ، وبالزمن أن يكر .

فالمقاهى بالقطر المصرى قد انتشرت فى المدن ، وامتدت إلى القرى ، وتهافت عليها روادها تهافت الفراش على النار ، يجلسون فيها ماطاب لهم الجلوس ، وينصرفون عنها ماطاب لهم الانصراف . كأنهم خلقوا لايعملوا ، ولكن ليستريحوا ويكسلوا ، وكأن الدنيا لم تفرض عليهم شيئا من واجباتها ومسئولياتها ، وكأن الوقت لديهم من تراب لاوزن له ولا اعتبار ولا قيمة ، وكأنهم فى غفلة ساهون : يقضون الساعات الطويلة فى الغث والتافه ، ويقتلون أوقاتهم فى لعب الميسر وفى غيره من المسليات المحرمة التى لاتفيد جسومهم ولاتشحذ ذهونهم بل تعود عليهم بالضرر الجسمى والعقلى والخلقى ، إذ تجعلهم يألفون السحت الحرام ومواصلة السهر والادمان عليه ، فيعجزون عن مزاولة أعمالهم ومباشرة واجباتهم .

ومنا من يرتادون الحانات فلا يغادرونها إلا وقد ذهب عقلهم ، ووهن عظمهم ، وطار لبهم ، وضاع وقتهم : "أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا وهم فى الآخرة هم الأخسرون" . ونرى فى كثير من القرى طائفة من الشبان قد تعودوا إهمال مزارعهم ، والتسويف فى واجبهم ، واستكانوا إلى الجلوس طويلا : يتحادثون لا فى الشؤون الزراعية ولكن فيما يثير الأحقاد ، ويشعل نيران الفتن والبغضاء ، ويتعاونون على الاثم والعدوان ومعصية الدين والقانون ، وعاقبة ذلك التأخر والدمار ، وقد تكون بزج هؤلاء المعتدين فى السجون ، فيمضون فى غياهبها سنين لايذوقون فيها سوى العذاب الأليم جزاء وفاقا . وفى هذا إضاعة لأوقاتهم وحياتهم .

ومن الناس من يسرف فى وقته ويضيعه فى تحقيق شهواته الجامحة ، ورغباته السيئة فتنفد ثروته ، وتضعف صحته ، ويسرع إليه أجله ، ويتميز من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وهذا جزاء من لايعرف للحياة قيمتها ولا يحسب للمستقبل حسابه .

ومن المصريين من يتسكعون فى الطرقات ، ويجولون فى الأزقة والحارات ، ويعكفون على العبث بالنظام ، والاخلال بالأمن ، ومعاكسة المارة والإضرار بهم . وتتألف منهم جيوش متعطلة إذ لاعمل لهم ولا صنعة ولا حرفة إلا التعدى على حرمة القوانين الوضعية والشرعية والخلقية . وهم قد فسدت ضمائرهم وساء خيالهم وتصورهم ، فليس لهم هدف يرمون إليه ، ولاغرض يتجهون نحوه إلا إضاعة الوقت فيما يؤذيهم ويؤذى المجتمع الذى فيه يعيشون ، وإليه ينتسبون . ومن الطلاب من يبدأون حياتهم المدرسية باللعب والتراخى ، وينظرون إلى واجباتهم نظرة تنم عن الاستخفاف والاستهتار .

و إذا وقعت أبصارهم على الكتب المقررة غضوا الطرف دونها وألقوها جانبا بسخط وتبرم وانصراف تام عنها ، فلا رغبة تحفزهم ، ولا رهبة تدفعهم إلى مطالعتها واستذكارها . ولا تزال هذه حالهم على كر الشهور حتى تتضخم المذكرات ، وتتراكم الدروس وهم عنها فى شغل شاغل. وكلما مرت الأيام ازدادوا تسويفا وتأخيرا ، وجهلا بها ، وكرها لها. حتى إذا ما قرب موعد امتحانهم فطنوا إلى عدم تأهبهم ، ورأوا المصير السيئ الذى ينتظرهم ، فيحاولون عبثا أن يستوعبوا ما فى الكتب ، وأن يحصلوا ما فى المذكرات ويستذكروا المواد لا بالتفكير والتأمل والبحث ، لأن الوقت لا يتسع لهذا ، ولكن بالحفظ الآلى الذى يقتل المواهب ويفسد الملكات . فيدخلون الامتحان وأبصارهم خاشعة ، وقلوبهم واجفة . وأفئدتهم هواء .

عندئذ يجدون أن التسويف قد أضرهم ، وأن النجاح عزيز المنال ، وأن عدم الحرص على الوقت قد أحبط أعمالهم وأضاع آمالهم .

ولو شئت ضرب الأمثال المأخوذة من حياتنا الاجتماعية ما اتسع لها الوقت ، ولضاق دونها المقام : فالصانع والعامل والتاجر وغيرهم ممن يكونون جسم المجتمع المصرى يعوزهم أن يعرفوا أن الوقت من ذهب ، وأن الفرص الطيبة التى تمر لا تعود ، وأنه من الضرورى للنجاح فى هذه الحياة أن يدبر المرء زمنه تدبيرا حكيما ، وأن ينظم عمله تنظيما يعينه على الاتقان والسرعة .

والعاقل من اتعظ بقول الشاعر :

إذا مرّ بى يوم ولم أصطنع يدا ولم أكتسب علما فما ذاك من عمرى

محمد أبو بكر ابراهيم

— الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل .

— المقعد خير من القاعد ، والكسيح خير من الكسلان .

شوقى

نفسية العامل

بين الاطمئنان والقلق

يعمل الفلاح فى مزرعته بكد يده، ويبذل فى تسوية العمل و إنتاجه عافية جسمه، فهو إذن عامل ينطبق عليه من موضوعنا هذا ما ينطبق على عامل المصنع وسواه .

وما دام الفلاح والعامل كلاهما سيكون فى مكان واحد من هذا الموضوع فسيكون تعبيرنا باسم أحدهما " العامل " تعبيرا عنهما معا .

و بعد ذلك فقد فرغنا من التسليم بالحقيقة الأولى فى شأنهما، وهى أن كليهما محتاج الى الاصلاح المنتج فى مظاهر حياته المادية ، فالقرية وأوضاعها ومسالكها ودورها ، والماء الذى يشربه أهلها ، وكذلك مساكن العمال وما يتصل بها من ذلك ، تحتاج أن تنشأ من جديد وعلى التدريج نشأة تصبح بها بيوت أحياء لا مقابر أموات ، وتنظيم العمل فى مدى ساعاته وفى حساب أجره وفيما يقوم عليه من علاقة بين العامل وصاحب العمل يحتاج الى أن يوضع فى ميزان العدل وضعا لاحيف فيه ولا إرهاق، والتغذية الكافية والصحة الموفورة يحتاج فى تيسرهما لهؤلاء الذين يعيشون فى قرية الريف وفى الحى القائم على أطراف المدينة الى عناية يعلم مبلغها من يعلمون أن هذا الذى يشق الأرض بفأسه ، وهذا الذى يبدع الصنعة بأداته ، كلاهما من الأمة بمنزلة العصب فى الجسم والدم فى العروق .

وقد توفرنا على العناية بكل ذلك، وذهبت هذه العناية فى مختلف وجوهها مذاهب الجد والنشاط ، وانتهينا بعد التفكير الى مشارع التنفيذ ليجدوا كفاية حياتهم من الغذاء والدثار ، ولتتهيأ لهم أسباب النجاة من سوء التغذية والملبس والمأوى وما وراء ذلك من تهدم الأجسام وضياع العافية .

ولكن الى جانب هـذه الحقيقة التى أدركناها وشرعنا نعمل لتنفيذها حقيقة أكبر منها لا نظن أنها وقعت لأكثرنا فى حساب ، وهذه الحقيقة هى الحالة النفسية التى تستحوذ على قلب العامل والفلاح فى هـذه الأيام والتى نخشى يوم ننصرف عن تمام الاصلاح المـادى مطمئنين الى نتيجته أن يعترضنا منها ما يجعل هذا الاصلاح قليل الجدوى ضئيل الفائدة .

ولأجل أن تصبح المسألة قريبة من التصور نفرض أننا أنشأنا للفلاح قرية جمعت بحسن تنظيمها كل ما يحتاج اليه فى حياته الريفية من أسباب الصحة وراحة البال، ثم نفرض أننا نرى أخانا الفلاح وهو يسير على جسر الترعة فى يوم شديد الحر عائدا من حقله الى قريته، فهل نراه اذا اشـتد به العطش أو ضايقه الحر لا يميـل الى الترعة فيعب منها ليطفىء عطشه بما فيها من أقذار المـاء ولا يلقى نفسه بين لجتها ليبترد بمائها الملوث بالجراثيم ؟ أو نراه يصـبر قليلا حتى يصل الى القرية حيث ينتظره ماؤها النقى وحمامها النظيف ؟

وكما نفرض هـذه الصورة من الواقع فى شأن الفلاح نفرض صورة أخرى من الواقع فى شأن العامل، فهب أن أخانا العامل استوفى غاية الانصاف فى تقدير الأجر وتحديد ساعات العمل وضمان التعويض لمـا يصيبه أثناء العمل من أخطاره ، وهـذه كلها حقوق طبيعية واجبـة الأداء والاحترام ، ثم هب أننا أردنا أن نراقبه بعـد أن تستقيم له هذه الحقوق ، فماذا نراه يفعل فيما يزيد من فضلة الزمن على ساعات العمل ؟ وكيف نجده ينفق الأجر الذى لم ينله الا بعد أن سالت عليه عافيته قطرة فقطرة ؟ هـل ينفق فترة الزمن فى ثمرة ينتجها ، أو فى خير يؤديه ، أو فى كلمة طيبة يستفيدها؟ وهل يصون أجره عن الضياع فيما يشبع أحشاء الشيطان وأحشاء أهله وأبنائه خاوية ؟ وهل يضمن أسلوب حياته البيتية المألوفة أن يستمتع فى مسكنه الصحى الجديد المنظم بحياة لا تتعثر فى مساوئ هذا الأسلوب المألوف ؟

ومع ذلك فهـذا أيضا جانب مادى من جوانب حياته وإن كان مرجعه الى الحـالة النفسية أو إلى الطبع الثابت والعادة المستقرة ، أما جوانب الحـالة النفسية المحضة فحقها من العناية والالتفات على قدر ما يؤدى اليه نسيانها من الخطر وسوء المصير .

لم يعد العامل المصرى محجوبا عن الدنيا ، فهو يقرأ ويسمع ويدرك ممـا يسمع ويقرأ أن مدى الحياة أبعد من أن تحـده فى مصر حدود المكان والزمان ، وقد أصبح يتحـدث فى الشئون السياسية العامة ويزعم أنه يفهمها وأن له فيها رأيا يؤمن به إيمانه بصحة فهمه ، وأصبح يتحدث فى شئون العمل والعمال وفيما يعترى هذه الشئون من مذاهب وآراء ، وأصبح يتخذ من حركات العمال ومذاهبهم فى بلاد الغرب مرآة يرى فيها نفسـه ومصيره ويقيس عليها آماله ويحدد بها اتجاهاته ، ولسنا نجهل أن نطاق تفكيره فى هذه النواحى لا يزال ضيقا ، وأن

عامل الفلاحة فى الريف أقل التفاتا اليها وأضعف عناية بها من عامل المصنع فى المدينة ، ولكنها موجودة على كل حال وجودا لم تعد معه بذرة جافة ، بل لم تعد بذرة يمنعها توهم عدم صلاحية التربة من أن تنبت وتنمو وتصير شجرة لها جذع ضخم وفروع متكاثرة ، فهذه البذرة الموجودة فعلا هى التى نريد أن تعالجها عناية المصلحين لا على أن نردها عدما — فذلك فيما نظن مطلب عسير المنال — بل على أن نحيطها من أسباب الوقاية بما يعدل بها عن طريق الخطر .

وقد تسأل عن هذه الوقاية ماذا هى وكيف تكون أسبابها ؟ فنقول : كان العامل المصرى يحمل بين جنبيه من إيمان قلبه وطمأنينة نفسه ضمان القنوع والهدوء ، فلما أوشك أن يفقد هذا الضمان أوشك أن يغتال هدوءه وقنوعه خداع ما يرى ويسمع .

ترجع النهضة الحديثة فى مصر إلى همة محمد على الكبير ، ولا يرتاب أحد فى أن سواعد العمال وجهود العمل فى الزراعة والصناعات كانت عماد هذه النهضة فى فجرها الصادق ، وقبل ذلك كانت جهود العمل وسواعد العمال هى التى رفعت شوامخ الآثار فى عصر المماليك وفى العصور التى سبقته مما لا تزال تنطق به العبائر الضخمة والمشاهد الخالدة ، وكان أولئك الذين خلدوا بأيديهم هذا المجد العظيم عمالا وصناعا مصريين هم السلف الطيب للصناع والعمال المصريين فى هذه الأيام ، ونحن لم نزل نرى فى هذه الآثار أمثلة عجيبة للجهود الشاقة المضنية التى رفع بها أبطال العمل فى تلك العصور أركان هذا المجد ، وقد كانوا مع ذلك قانعين من الإيمان وطمأنينة القلب ورجاء المثوبة المنتظرة فى الدار الآخرة بما يملأ نفوسهم سلوة وعزاء ، لأنهم كانوا يستمدون من هذا العزاء وهذه السلوة صبرا لا ينضب معينه وقوة لا ينتهى جديدها .

ولكن عمالنا فى هذه الأيام أصبحوا وحظهم من منبع العزاء والسلوة ضائع أو موشك أن يضيع ، وبذلك صاروا عرضة لما يتراءى لهم فى الآفاق البعيدة من ختل المذاهب البراقة والآراء الجامحة ، ولم يعودوا يتذكرون أن كل شىء فى هذه الحياة نسبى ، وأن الله الذى خلقهم للعمل وشرفه والصناعات ومجدها ، أبى إلا أن تكون لهم مناعة أجسام يكفيهم معها الثوب أو الثوبان حين لا يكفيان أصحاب الأجسام المترفة ممن يكدون فى الحياة العامة بالعقول والقلوب لا بالسواعد والآلات ، كما أبى إلا ان تكون لهم معدات تهضم العدس والبصل ونحوهما من الأغذية التى تجل فائدتها وترخص قيمتها مهما انقبضت عنها شهوة النفس حين لا تلتهم معدات المترفين غير الأغذية التى تقل فائدتها وتغلو قيمتها ولا تنقبض عنها شهوة الآكلين .

أما سبب هـذه الحالة الطارئة التى تبدلت بها نفسية العامل المصرى ، فهو أن محيط الحضارة العصرية دلس عليه حقائق الحياة وغشه فيما تقوم به علاقات الطوائف بعضها ببعض من روابط وفروق ، وفيما تقتضيه هذه الفروق والروابط من دفع وجذب وتقارب وتباعد . وقد كان من الخير أن يبقى على سجيته الهادئة المطمئنة ليبقى حظه من هدوء النفس موافقا لهذه الطبيعة المصرية التى تمتاز بالرزانة والهدوء ، ولكن هذا الخير الذى كان واجبا أن يبقى وأن يصان لم يلبث أن عصفت به هـذه الريح نفسها التى عصفت بإيمان القلوب فسلبتها راحتها الكبرى ، وسدت على النفوس سبيل الرضا فحرمتها نعمة الاطمئنان ، وملأت الصدور حرجا وضيقا فملأت الجوانح تبرما وقنوطا ، على أن هذه الحالة النفسية لاتزال غير مستعصية ولا معضلة ، فاذا لم نتداركها منذ الآن بوسائل العلاج وأسباب الوقاية فقد لا نأمن أن تصبح للعمل والعمال فى مصر مشكلات يحار فيها رجالنا المصلحون حيرة أمثالهم بمثيلاتها فى بلاد الغرب .

ومع ذلك فالشأن مختلف عندنا وعندهم ، فهناك لانرى فى ميادين الكفاح غير المادة يحيط طغيانها بتفكير العقول وهوى القلوب وعمل الأيدى وخطوات الاقدام ، حتى لم يبق للمعانى الروحية فى هذه الميادين سلطان مطاع ولا أثر محمود ، ومن هذه الناحية يستطيع دعاة الاصلاح الغربيون أن يجدوا لأنفسهم عذرا مقبولا ، ولكنهم مع هذا العذر الذى يسعفهم به واقع الحياة لم يكفوا عن محاولة العلاج رغم مايعلمونه من قوة التيار وشدة انحداره عسى أن تلتوى طريقه ويخف اندفاعه .

غير أن المسألة لاتزال عندنا كما قلنا فى صدر هذا الكلام بذرة جافة ، فعلينا أن ننظر هل تجد هذه البذرة تربة صالحة تنمو فيها ؟ ودل بلغ بنا ضغط الحياة مبلغا تنفتق به هذه البذرة عن العنصر الذى تنبت منه ؟ وهل فى مصادر حياتنا الطبيعية من البخل والجفاء ما تقوم به المغالبة على العيش مقام المعارك بين المتقاتلين ؟

كنا نقول قبل اليوم إن بلادنا زراعية ، فمشكلات العمل والعمال مأمونة فيها ، وكان هذا القول صحيحا على وجهه يوم كانت النهضة الصناعية والعملية لا تزال سرا من أسرار الغيب ، فاذا صح أن هذه البذرة الجافة لاتجد لها تربة صالحة بين محيط العمل فى فلاحة الارض وزرعها فقد يصح أن تجد هذه التربة فى محيط النهضة الصناعية وفيما تستكمله حاجاتنا الحربية والاقتصادية لهذه النهضة من الامتداد والسعة وترامى الأطراف .

والواقع أن مصادر الحياة فى مصر لا تعرف البخل والجفاء ، ولكن الواقع أيضا أن كرم هذه المصادر ولينها أصبحا مدخرين لمجد الدولة وللمستقبل العظيم الذى نتطلع إليه ، أى للأعباء الثقيلة والتكاليف البالغة التى ألقتها على عاتق البلاد حاجتنا الحربية والاقتصادية .

فبأى شعور إذن نريد أن يقبل العامل المصرى على هذا المستقبل الذى طالعتنا مقدماته؟ هل نرى أن يقبل عليه بشعور النفس المادية و إحساس الضمير الجاحد فيصبح فريسة للتبرم والقنوط وتصبح الأمة معتلة منه بما يعتل به العرق النابض والعضو المتحرك ؟ أو نرى أن يقبل عليه باحساس الضمير المؤمن وشعور النفس المطمئنة فيصبح سعيدا بنفسه وعمله وتصبح الأمة صحيحة منه بما تصح به النفوس والأبدان ؟

إن أوجب ما يجب من حق العامل أن نوفر له أسباب الأمن والسلامة فى نفسه وصحته وعيشه، وأن نمكنه من أن يوفر لأهله وأبنائه حاجتهم من هذا الأمن وهذه السلامة ، ولكن أكبر من ذلك وجوبا أن توفر الأمة لنفسها فى شخصه سلامة الاتجاه وأمن السبيل ، فتعيد اليه صدق إيمانه وترده الى ما فى الإيمان من طمأنينة القلب وعزاء النفس ومقابلة الشدائد بالصبر والرضا وصدق اليقين .

و بعد ، فلا بد لنا أن نلاحظ مسألة اقتضاها ، فيما نعتقد، تلهف المصلحين على إسعاد العمال بأقصى ما يتصورونه من وسائل الإسعاد ، وهذه المسألة هى أن الدعاة القائمين الى جانب العمال مقام الانتصار لهم لا يقتصرون فى المبالغة ولا تسلم أصواتهم من افتراض الآمال التى تتفتح لها القلوب وتتعلق بها الأوهام فى حين أن الجهود قد تقصر عنها وأن الزمن قد لا يسمح بها .

ولا شبهة أن المطامع تمتد فى النفوس وتستبد بها بقدر ما يمتد لها من حبال الأمل على ألسنة الدعاة والمفكرين ، فاذا وقفت عوائق الزمن فى الطريق أو نفد ما فى وسع الطاقة قبل الوصول الى الغاية المشتهاة كان رد الفعل بذلك غير مأمون العاقبة ، فقد تتوهم النفوس حينئذ أنها أصيبت بالحرمان من غير حق فيتسلط عليها القلق وسوء الظن وتصبح مستعدة لقبول الدعوات الهدامة والآراء المظلمة .

ولهذا يحسن بكل من يدعوه الاخلاص لهذه الأمة والحرص على مصلحة العمال الى العمل فى هذا الميدان أن يكون رفيقا فى دعوته وتفكيره ، وألا ينسى مستقبل العمال كلما فكر فى حاضرهم .

م . ه

أقلل وأكثر

عن مكليرى نيوز

أقلل من الطعام وأكثر من المضغ

وأقلل من الركوب وأكثر من المشى

وأقلل من الملابس وأكثر من الاستحمام

وأقلل من الهموم وأكثر من العمل

وأقلل من الكسل وأكثر من الرياضة

وأقلل من الكلام وأكثر من التفكير

وأقلل من التبذير وأكثر من الإحسان

وأقلل من التوبيخ وأكثر من الضحك

وأقلل من النصح وأكثر من المثل

الشيخ المتصابى

أيها الشيخ المهدم المقذذ ؛ ما غرك بالسن حتى لبست للصبا ثيابه ، ونازعت حفيدك شبابه ، إنما مثلك فى هذا البريق المزور ، وهذه النضارة المصطنعة ، كمثل الضرس المحشو المكسو ، نزع منه العصب ، وخلع عليه الذهب ؟

" شوقى "

قواعد النجاح

وضع " أوتوكاهن" هذه القواعد العشر التالية للنجاح :

(١) امح من كلامك عبارة " تأدية واجب " :

(٢) فكر واستعمل دماغك كما تستعمل عضلك .

(٣) تذكر أن أحسن ماتملك هو اسمك وصيتك .

(٤) استعمل خيالك .

(٥) تعلم الصبر وانتظر الفرصة .

(٦) أحسن العشرة وجامل الناس ولا تنتقص الكفايات .

(٧) ابذل مجهودا ولا تخش شيئا على صحتك من الجهد .

(٨) ليكن لك اهتمام نشيط فى المسائل العامة .

(٩) قابل إخوانك فى صراحة ونزاهة . ولا تقف موقف الجندى الشاك فى الناس .

(١٠) اذا نجحت فكن صبورا مصالحا . ولا تتبجح ولا تتظاهر .

من حكم الإمام على

— إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، و إذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

— خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم ، و إن عشتم حنوا اليكم .

— إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه .

إلى المسئولين عن الفلاح

لنا على الفلاح مسئولية لعله يؤديها خير الأداء ؛ فنحن الذين يتناولون من كد الفلاح غلة الزرع والسقى والحصاد، نحاسبه على هذه الغلة حساب المسئول ، وهو لا يملك بمقتضى موقفه إلا أن يؤدى لنا حساب هذه المسئولية .

وللفلاح علينا مسئولية التفت دعاة الاصلاح إلى جانبها المادى فجعلوا يحسنون أداءها ، ولم يلتفت سواهم إلى جانبها التهذيبى مما تحققه القدوة الطيبة قولا وعملا، فلم يؤدوها أو لم يحسنوا أداءها على الأقل .

ونريد بهؤلاء كل من يصح أن يوضع فى هذا الجانب موضع المسئول مباشرة عن الفلاح. والمسئولية فى هذه الناحية متدرجة على مقتضى قرب الصلة به وبعدها عنه ، فالمالك الكبير الذى يعمل الفلاح فى أرضه يخل هذه المسئولية قبل أن يحملها غيره ، ومأذون القرية الذى تتيسر له وسيلة الموعظة الحسنة أكثر مما تتيسر لحامل الفأس وسائق المحراث توجه إليه المسئولية قبل أن توجه لسواه ، والعين الوجيه والعمدة صاحب النفوذ ومأمور المركز ورجاله يجيئون فى حمل المسئولية متتالين، ثم تتركز هذه المسئوليات فى يد المدير لأنه هو المسئول أولا عن مراقبة هؤلاء جميعا ليرى هل أدى كل واحد منهم ذمته فأدى ما هو مسئول عنه ، ولينظر كيف يوجههم إلى خير الوسائل لتأتى النتائج طيبة نافعة ، وهو المسئول ثانيا عما عليه هو مما يتعلق بمسئوليته الخاصة .

إن المالك الكبير يطلب من الفلاح أن يرضيه بحسن العمل فى أرضه ليأخذ محصولا حسنا ولكن هل طلب من نفسه أن يرضى الانسانية بحسن رعاية هذا العامل المكدود فى عيشه وصحته وفى عيش أهله وأبنائه وصحتهم ؟ قد يمر صاحب الأرض بين مزارعه ليرى ماذا يفعل هؤلاء الفلاحون ، وقد يشاهد أحدهم وهو يتلوى من شدة الألم والفأس فى يده يضرب بها الأرض، وقد لا يغيب عنه أن فلاحه هذا إنما يتلوى من الأوجاع فى أمعائه أو كبده أو طحاله ، بل قد لا يجهل كلما رأى إمتقاع لونه وهزال جسمه وانتفاخ بطنه أنه فريسة البلهارسيا

أو الانكلستوما أو البلاجرا أو الملاريا، ومع ذلك فهل أحسن توجيهه فأعفاه من العمل ريثما يرسله إلى الطبيب أو ينصحه بالذهاب إلى المستشفى أو يوصى به أطباء العلاج خيرا؟ أصدق الجواب أنه لم يفعل ذلك فرجاؤنا منذ الآن أن يفعله .

أما مأذون القرية فلا يرضيه من الفلاح إلا أن يقبل يده إذا صافحه وأن ينهض قائما إذا أقبل عليه، وأن يجزل له العطاء إذا عقد له عقد زواج، ولكن هل راقب الله والمروءة فيه فوعظه بالحسنى ونصح له بالهداية والتزم معه الدلالة على طريق الخير؟ هنا أيضا لا يصدق الجواب المثبت، ولا تمتنى على حضرة المأذون أكثر من أن يجود بهذه الموعظة .

وأما العمدة فيجب من الفلاح فوق الاحترام المبذول والتوقير الدائم أن يعترف له بالسيادة المطلقة والجاه العريض، ولا يرضيه إلا أن يهتف لركابه، ويخشع عند بابه، ولكن عمدة هذه الأيام أصبح — فى الأعم الأغلب — بصيرا بما يضر الأحياء وما ينفعهم، كما أصبح خبيرا بأوضاع الحياة وأساليب العيش فى قريته خبرته بذلك فى بيته، حتى لا يكاد يمر يوم من أيامه دون أن يرى صبيان القرية وهم يخوضون بركتها الراكدة ومستنقعها القذر، أو دون أن يشاهد أطفالها وهم فى حبوهم بين الأقذار يرفعون إلى أفواههم أرواث البهائم وقطع الوحل مما يقع فى الطريق أو يدلكون أعينهم بأيديهم وهى ملوثة بالوحل والأرواث، فهل أدرك أن من حق هؤلاء الأطفال والصبيان وحق أهلهم وحق الانسانية عليه أن ينصح الآباء والأمهات بصيانتهم من النكبات التى ترميهم بها هذه الحالة؟ وهل حاول أن يدلهم بالأمثلة التى تؤديها المشاهدة على ما تجره عليهم هذه الحالة من التعس والشقاء؟

ومثل العمدة أعيان القرية ووجهاؤها، وإنما نريد أولئك الذين آثروا البقاء فى بلادهم على الهجرة إلى المدن، فهؤلاء يستطيعون بحسن التوجيه وبالنصح الخالص والإرشاد الطيب أن يسدوا إلى أهل قراهم من الخير ما يرفع عنهم مسئولية التفريط فيما تطلبه منهم حقوق الجوار والمواطنة، وما تقتضيه ذمة الانسان على أخيه الانسان .

وقد تكون القدوة فى القول والعمل أبلغ أثرا وأقرب فائدة، فان الفلاح مطبوع على الرغبة فى تقليد الكبراء من أهل بلده كلما وجد سبيلا الى هذا التقليد، فهو كما يقلدهم فى الاستدانة بالربا والجلوس على القهوات ومباشرة المفاسد ليباهى بأنه يفعل مثل ما يفعلون كذلك يقلدهم فى الاستقامة والجد والعمل الطيب ويصدقهم فيما ينصحونه به من أسباب الخير إذا وجدهم لا يهملون فى أنفسهم هذه الأسباب .

وليست العبرة فى ترقية الفلاح وإصلاح شأنه بمجرد التيسير عليه فى التغذية والمسكن والملبس مع الاحتفاظ له فى ذلك بالأصول الصحية، ولكن العبرة قبل هذا أن تتيسر له

أسباب التهذيب وحسن الإدراك ليفهم ما يضره فى نفسه وأهله فيتجنبه ، وليقتنع بأن كل ضرر يلحقه فى شخصه أو فى أبنائه مما تضيع به الصحة وتعتل الأبدان والنفوس إنما يفسد عليه حياته فى يومه وغده، ويكدر عيش أبنائه فى مستقبل أيامهم اذ لايستطيعون مع اعتلال النفوس والأبدان أن ينهضوا بما تتطلبه دواعى الحياة وأسباب العيش من التكاليف الشاقة.

ومن عادة رجال الإدارة ومأمورى المراكز أن يستدعوا الأعيان والعمد ومشايخ البلاد الى اجتماعات يوصونهم فيها بالسهر على الامن ، ويبلغونهم ما تطلبه الوزارات المختلفة فى منشوراتها الدورية من وسائل حفظ الامن والاجتهاد فى تحصيل الضرائب والعناية بالزراعة والعمل لمكافحة الآفات التى تفتك بالمزروعات ، ومع أن أكثرهم يرى أن مجرد هذا التبليغ يكفى فى صورته الآلية لأداء الواجب فانهم على كل حال يحققون به مخاطبة المسئولين من أهل البلاد فيما ينفعهم وينفع أهل بلادهم ، أما المسألة التى هى أهم من ذلك كله وهى قيام الرقابة الانسانية على مناهج الحياة وأساليب العيش فى القرى والعزب وحسن توجيه الفلاحين بهذه الرقابة الى الخير المطلوب قبل كل خير سواه فتلك مسألة يدل عدم وجود أثرها على أنهم لم يعيروها شيئا من العناية والاهتمام .

ومن النادر جدا أن نسمع أن مديرا من حضرات المديرين دعا مرءوسيه من رجال الإدارة فى مراكز إقليمه الى اجتماع عام يحدثهم فيه بما عنده من الارشادات النافعة ، على أن هذه الاجتماعات النادرة جدا لا تكون فى الغالب إلا تنفيذا لما تريده الحكومة فى ظروف خاصة ، ولا يتلقى رجال الادارة فيها أكثر من التعليمات التى تتطلبها المصلحة فى مثل هذه الظروف ، ولا نذكر بعد ذلك أننا سمعنا أن أحدا من حضرات المديرين جمع مرءوسيه من رجال الادارة فأوصاهم أن يقوموا لأهل البلاد بواجب التوجيه الى ما تصلح به شئون حياتهم حسا ومعنى ، وكذلك لم يظهر أن أحدا منهم فكر فى اجتماع يدعو اليه عمد البلاد ومشايخها وأعيانها ووجهاءها ليفهمهم أن عليهم لله وللوطن وللانسانية حقا لا تبرأ الذمة منه ما لم يتعهدوا من حولهم من الفلاحين بالرعاية والنصح وحسن الموعظة ، حتى إذا أدركوا الأشياء على حقيقتها نشأت فيهم عادة الاختيار والتصميم فاجتنبوا قبائح القول والعمل ورغبوا فيما ينفع من كل حسن جميل .

والعجب أن تقارير المديرين ومأمورى المراكز لا تزال تشهد أن الوعظ الدينى أفاد فى بعض مناحيه فائدة مذكورة ، وهم يعلمون أن الوعاظ يذهبون الى القرى والبلدان بين الحين والحين ، فاذا كان للحديث الطيب مثل هذه الفائدة مع أنه قليل بسبب اتساع المجال على المتحدثين به ، فكم تكون المنفعة كبيرة إذا تكررت الأحاديث الطيبة على ألسنة المسئولين الآخرين كل يوم وفى كل مناسبة .

والآن نستطيع أن نعرف من هم المسئولون عن الفلاح على سبيل التعيين وعلى ترتيب الدرجات فى هذه المسئولية، فهم فى الدرجة الأولى عمدته وشيخ بلده ومأذون قريته ومواطنوه من الأعيان أو من أصحاب الأرض التى يعمل فيها ، وفى الدرجة الثانية مأمور المركز ورجاله وسعادة المدير فى سلطته الشاملة . وليس مما يحتاج الى البيان أنها مسئولية إنسانية يرجع الحساب عليها الى الضمير الانسانى وحده ، وهؤلاء جميعا فى استطاعتهم أن يصلحوا من شأنه بحسن التوجيه ما لا تصلحه القوانين أو ما يأتى إصلاحه معها بطيئا ، فمن أهون الأسباب عليهم أن ينظموا اجتماعات دورية يحدثون فيها الفلاحين بالنصائح النافعة ويشرحون لهم وسائل الخير وأسباب الشر باللغة التى يفهمونها، ثم يمنونهم بحسن الجزاء إذا سمعوا وأطاعوا، ويجعلون عليهم من أنفسهم رقباء يعنون فيهم المنافسة فى العمل بما نصحوا به .

وليس قليلا ولا هينا عند الفلاحين أن يروا سعادة المدير فى قريتهم مهتما بشأنهم، وأن يحدوه مقبلا عليهم بالحديث إقبال المشفق الرحيم، وأن يسمعوا من حديثه أن مما يسره ويرضيه أن يفعلوا هذا الشىء من الأشياء لأن فيه ضمان الصحة لهم ولأهليهم أو ضمان اليسر لهم ولأبنائهم، وأن مما يحزنه ولا يقبله أن يتمادوا فى هذا الأمر من الأمور لأن التمادى فيه يتلف الصحة أو يسد أبواب الرزق .

وهذه الكرامة التى يحسها الفلاحون فى أنفسهم كلما فهموا من إقبال المدير عليهم أن لهم عنده قيمة مرعية هى التى يحسونها فى أنفسهم كلما رأوا العين الكبير والوجيه المحترم والعمدة المطاع مقبلين عليهم مثل هذا الاقبال ، ولا ريب أن شعور الصغير بأن له عند الكبير هذه القيمة المرعية يقذف فى قلبه الثقة بهذا الكبير والاطمئنان له ، ويجعله أقرب الى طاعته والعمل بنصحه .

إن رحاب القرى لا تضيق بهذه النصائح يسمعها الفلاحون كل يوم من العمدة أو نائبه وكل أسبوع من المأمور أو من ينيبه عنه ، وكل شهر من المدير أو وكيل المديرية .

وإنا لنعلم أن فى هؤلاء جميعا استعدادا للخير ينبعثون به من أنفسهم ، فنحن إنما نذكرهم بما نعتقد أنه فى حسابهم من قبل .

قهوات العمال

وكيف يقضى العمال أوقات فراغهم

لا تشغل مسائل العمال فى مصر مكانا عظيما من اهتمام الرأى العام ، لأن الواقع أن هذه المسائل إنما تفشو فى الأوساط الصناعية حيث يتكأكأ العمال حول المصانع وحيث يتناوبهم العمل والتعطل بلا نظام كما هو الشأن فى الصناعات الآلية الكبرى. أما فى مصر فان الوسط لا يزال فى الأكثر زراعيا وهو منتظم العمل على طول العام. واذا كانت مكاسبه دون المكاسب فى الوسط الصناعى فانها تمتاز عليها بما فيها من انتظام و بعد عن مفاجآت البطالة .

ولكن فى القاهرة والاسكندرية كما فى المحلة الكبرى و بعض المدن الأخرى قد ظهرت صناعات جديدة بين صغيرة وكبيرة . وقد كثر العمال حولها. وصاروا يعمرون أحياء معينة تمتاز بانخفاض الأجور فى السكنى كما تتسم بالازدحام وقدم المساكن .

وعمالنا يعملون فى الغالب بين ثمانى وعشر ساعات فى اليوم . وهم يتمتعون بفراغ قد يبلغ ست أو سبع ساعات كل يوم . و بعض هذا الفراغ بالطبع يقضيه العامل بين أهله وأولاده ولكن كثيرا منه بل أكثر منه يقضى فى المقهى للسامرة واحتساء الشاى . ونقول " أكثر منه " لأن العامل يعتاد السهر فى هذه القهوات إلى مابعد مواعيد نومه . وهو يأخذ بذلك من راحته لسهره وربما تسوء صحته لهذا السبب أى لقلة الوقت الذى يقضيه فى النوم لأنه يقضيه فى القهوة . وكلنا يعرف ذلك العامل الذى يغفو وقت عمله وتمتد إغفاءته الى نوم عميق لأنه لم يشبع من النوم فى ليلته السابقة .

والقهوة تعد منتدى العمال . فيها يتسامرون و يلهون . وقد يكون بينهم من يقرأ الجريدة أو المجلة فيثير فيمن حوله عواطف ذهنية مفيدة ومثيرة . ثم قل أن تخلو قهوة من الراديوفون الذى يبهج أحيانا بالأغانى والألحان و يثقف بالأحاديث والأخبار . والى هنا تعد القهوة فى المدن الكبرى مفيدة إذ هى ساوة لا بأس بها تجمع بين زملاء الحرفة أو قرناء السن. ولكن

قهوات المدن الرخيصة التي يغشاها العمال لا تقدم من المنبهات غير أصناف محدودة يتغلب عليها الشاى الأسود الذى تكرر اغلاؤه حتى غليت عليه المرارة . وهذه المرارة تحمل شاربه على أن يكثر من السكر . وهذا السكر يعد بالنسبة الى الخبز طعاما ناقصا .

ونظن أنه يمكن لقهواتنا التي تختص بالعمال أن تعمد إلى التنويع والزيادة فى الأصناف التي تقدم لزبائنها ، بل هى تستطيع أن تقدم الشاى مثلا مع كسرة من الخبز والزبدة أو الخبز والجبن ، وقد وجدت الحكومة الانجليزية أنها عند ما أجبرت الحانات على تقديم الغذاء مع الشراب فى أوقات معينة قل استهلاك الخمر وتحسنت الصحة العامة بين العمال . ولسنا نعرف اذا كان الاجبار القانونى هنا يفيد أو لا يفيد . ولكنا نظن أنه يمكن لبعض أصحاب هذه القهوات أن يتطوعوا بهذه التجربة . فان الأغلب ان استهلاك الشاى والقهوة يقل بسببها وتحسن صحة عمالنا .

وقد أثبتت تجارب السنين الماضية أن عمالنا لا يخشى عليهم من الخمر . وقد يبدو لأول وهلة أن السبب فى ذلك يرجع الى غلائها . ولكن الحقيقة أن فى القاهرة أنواعا من الخمور هى بالطبع غاية فى السوء ولكنها رخيصة . كما أن " البوظة " من المشروبات المألوفة عند أفراد قلائل . ولكن هذا الانخفاض فى الثمن لم يفش تعاطيها بين العمال الذين يكرهونها بمزاجهم كما أن الوازع الدينى من القوة بحيث يكفهم عنها فى الأغلب . على أن كراهة عمالنا للخمور لم تجد لها ما يضارعها من الكراهة للمخدرات المضرة التي يتجاوز ضررها جميع الخمور كما اتضح ذلك عقب الحرب الكبرى حين تفشى الكوكئين ثم أعقبه الهيروئين . وقد تكلفت الحكومة مبالغ طائلة وجهودا عظيمة حتى قضت على أكثرها .

ويبدو لنا أن هناك علاقة بين الغذاء السيء والرغبة فى المخدرات . وتفشى الأفيون فى كل من الهند والصين حيث تشتد الفاقة يؤيد هذا الظن . فإن الجوع يحدث همودا فى الجسم يحمل صاحبه إلى الترفيه عليها بالمخدرات . كما لا ننسى أن المخدرات إنما كان أعظم تفشيها عقب الحرب الكبرى بين الطبقات الفقيرة . ولذلك يجب أن نعمد فى العلاج إلى توفير الغذاء الحسن وأن نجعله الضمان الأول من السقوط فى هذه الهاوية . وهذا يحملنا على أن ندعو إلى أن تكون القهوة التي يغشاها العمال خاصة والفقراء عامة مطعما كما هى مشرب يقدم فيه القليل من الأطعمة الجافة التي تكسر حدة الجوع وتضعف الرغبة فى المنبهات والمخدرات من الشاى إلى الخمر ومن الدخان إلى المخدرات أو تزيلها .

إن هناك من يقول بإلغاء القهوة اعتقادا بأنها تعود العمال عادات سيئة . ولكن اختبارات الأمم الأخرى قد دلت على أن معالجة الأخلاق باللهو البريء خير من معالجتها بالقمع التام . و إذا كانت قهواتنا ليست الأمكنة المثلى لكى يقضى فيها العامل فراغه فإن فى مقدورنا أن نصلحها .

ولكن القهوة يجب ألا تكون كل شيء فى فراغ العامل . فإن النادى يستطيع أن يقوم بخدمة القهوة ولكن على مستوى أعلى . ثم يمكن للنادى الذى يؤلفه العمال فيما بينهم أن ينال عطف الأغنياء والقادرين بالتبرع المالى الذى يستخدم للتحسين والترقية . وفى مستطاع النادى أن يفعل ما لا تستطيع القهوة أن تفعله أى فى مستطاعه أن يقتنى الكتب و يؤسس غرفة للمطالعة . كما أنه يمكنه أن يستخدم المحاضرين . بل أن بعض الأندية يستطيع أن ينظم الدروس التى ترقى العمال وترفعهم وتشغل وقتهم بالمفيد من الثقافة الابتدائية .

وحكومتنا فى الوقت الحاضر معنية بإيجاد المتنزهات فى الأحياء الوطنية الفقيرة . وهذه المتنزهات إذا كثرت كانت من أفضل الوسائل لصرف أوقات الفراغ .

— كبر الصغير قبيح كتواضعه ، كلاهما فى غير موضعه .

— من وضع نفسه قصر عن فضيلة التواضع .

— من عرف نفسه بعد جهل وجدها ، ومن جهل نفسه بعد معرفة فقدها .

— بُغِّض الكبر الى النفس الكبيرة ، وحببت الصغائر الى النفس الصغيرة .

— لا يكن تلطفك مذالا ، ولا تحببك ابتذالا ، فان الطفيليين أعذب الناس كلاما ، وأكثرهم ابتساما .

— شبح الفقر غاد رائح على اثنين : زوج المضيعة ، وامرأة المقامر .

— المغرور من يظن الناس لا يستغنون عنه ، والمخدوع من يظن أحدا من الناس لا يستغنى الناس عنه .

— خذ من مال الناس ما شئت فإن وارثك راده اليهم .

شوقى

هجرة الأعيان

من الريف إلى المدن

لم يعد للأسر المصرية أن تفخر بعزتها فى الريف ، فقد كانت لها العزة أيام كانت عصبيات تؤلفها القرابات والأنساب، وتعلى كلمتها مهابة الإقامة والجوار ، ويضمن احترامها علم الجميع أنها موجودة على مقربة منهم ، ويصون منازلها شعور الاتباع بأن رجالها حاضرون لا غائبون .

على أن هذه العزة المفقودة هى الجانب الخاص من جوانب الخسران الذى أصابت به بلاد الريف المصرى هجرة الأعيان وعميدى الأسر الكبيرة إلى المدن فمنذ اتخذوا المدن دور إقامة واستقرار ، ومنذ جعلوا مواطنهم الأصلية مزارات يذهبون اليها ذهاب الغرباء من ذوى الحاجات ، منذ أصبحت علاقتهم بالريف هذه العلاقة المقطوعة أصابهم ما أصابه من تلف و بوار ، وهددهم ما هدده من خراب و إفلاس .

و إنك إذا تحريت الحقيقة فيما تدل عليه مشاهد الحالة فى الريف لتعلم أن أول خسارة أصابته هى ضياع الرعاية الأهلية وفقد المثال المحتذى وانقطاع الصلة الروحية بين جمهور العامة من أهله وأولئك الذين كانت الوجاهة الذاتية تنزلهم فى القرى والبلدان منازل الرؤساء المهيبين ، وقد نشأ عن ذلك أن فجعت القرية فى وحدتها الاجتماعية فأصبحت لا تستطيع أن تدفع عن نفسها عوادى الزمن لأن مركز الدائرة من هذه الوحدة — وهم الأعيان والسادة — أصبح منذ تحول عن مكانه غير موجود ، ثم لأن ذوى القرى من عامة أهل الريف وسواهم من اتباع العزة على اختلاف مراتبهم وأشياع الولاء والمحبة على تفاوت درجاتهم " لم يعودوا يجدون فى نفوسهم — وأولياؤهم هؤلاء يعيدون عنهم — ذلك الاعتزاز الذى كانوا يجدونه وهم حاضرون بينهم .

لم يعرف اهل الريف الكسل والخمول قبل أن يعرفوهما الآن ، ولم يكن فساد السلوك واختلاله شائعا فيهم بقدر شيوعه اليوم ، ولم يكونوا من قبل يعرفون هذه الجرأة الظاهرة على كرامة الأسر العريقة وأقدار الرجال المحترمين كما عرفوها الآن وكما صارت عادة لا يتحرزون منها بأى اعتبار من الاعتبارات المرعية ، واليوم أصبحت هذه الأمراض الاجتماعية فاشية فى الريف كله ، فالحقول مهملة حتى يشبع أصحابها أو العاملون فيها من قتل الوقت فى مجالس التبطل والفراغ على أبواب الدكاكين أو فى التسلى مع الرفاق بين أرجاء القرية من هنا إلى هناك ، ومتلفات الصحة والرزق مما يشرب أو يبلع أو يدخن أو يشم شائعة بينهم شيوع العادة السهلة فلا ينصرفون عنها إلا ليبحثوا عما يحصلون به عليها حلالا كان أو حراما ، وكل رجل تحفظ له عراقة الأهل أو كرامة العلم أو شرف الاجتهاد فى العمل النافع حق الاحترام ومعرفة المكانة لا يأمن عاديتهم على هذا الحق بالألسنة المبسوطة أو الأيدى الممدودة أو النفوس الجامحة ، وليس لذلك من سبب إلا أن البلاد خلت من كبرائها فغابت أشخاصهم من الأبصار وامتنعت أخبارهم عن الآذان وانقطعت من بينهم تلك المهابة التى كان ينشرها فى كل مكان شعور الجميع أنهم موجودون لا غائبون .

وقد صارت المفسدة بذلك عامة فلا يختص بها الفلاح الصغير الذى أقعدته رقة حاله عن مفارقة قريته دون المالك الكبير الذى أغرته ظواهر القدرة بالخروج الى المدينة وترك القرية التى هى نبع حياته تنعاه وتنعى مصلحته الضائعة بين أرجائها .

ولسنا نبلغ الغاية اذا أردنا أن نحصى آثار هذه المفسدة أو نستقصى وجوه الضرر الذى أدت اليه ولكنا على كل حال نستشهد لتوضيح المسألة بما يأتى :

١ — أصبح الفلاح الصغير لا يخشى اللوم ولا يهاب المسئولية لأن المالك الذى كان يخشى لومه والوجيه الذى كان يتقى المسؤولية أمامه وعميد الأسرة الذى كان يخجله أن يعرف أنه سيئ السمعة رديء العمل ، هؤلاء لم يعد يحسب لهم حسابا بعد أن رحلوا عنه وعن قريته فاستوطنوا المدينة .

٢ — ضعفت همته فى طلب العيش وفترت عنايته باستنبات الأرض ، وقل نشاطه فى خدمة الزرع ، وذهب حرصه على وفرة المحصول وجودته لأنه حرم من القدرة العملية التى تثير فيه هذه المعانى الواجبة منذ أصبح لا يرى أحدا من الأعيان أصحاب الأرض والزرع يخرج فى بكور النهار ليتعهد مزرعته الواسعة بالرعاية والاهتمام وليباشر بنفسه مايجرى فيها من ضروب العمل وطرقه وأساليبه فلم يعد هذا الفلاح الصغير ينهض مبكرا ويقبل على شأنه جادا نشيطا خشية أن يعاب بالخمول والإهمال وقلة المعرفة اذا جاء محصوله المتواضع أقل جودة من المحصول الوفير فى هذه المزرعة الواسعة .

٣ — زالت من الريف مهابة كبرائه لأنهم بعيدون عنه فزالت معها خشية الإقدام على الشر لأن أولئك المغامرين من فتيانه أمنوا بارتحال الكبراء عن بلادهم عين الرقيب وصولة المؤدب .

٤ — امتدت يد العبث الى مصالح الأعيان الغائبين فأصبحت عرضة للتبدد والضياع وصارت ضحية الإهمال والتفريط ، وفى هذا خسارة لا يعرفها أحد أكثر مما يعرفها أصحاب هذه المصالح .

٥ — حينما كان الأعيان مقيمين فى بلادهم كانوا يملكون ضمان السلامة من علل المدنية العصرية وأوبائها فلم يكونوا على مقربة من تيارها الجارف ، ولكنهم منذ تحولت إقامتهم الى المدن جعلوا أنفسهم وأهليهم عرضة لهذا التيار ، فأصبحوا هم وأهلوهم لا يستطيعون النجاة من هذا التيار كما لا يستطيعون عدم الوقوف فى طريقه ، وبذلك انتقلت اليهم العدوى فى الأخلاق والعادات ، وحرموا وفرة الرزق من الحلال الطيب ، ولزمهم من تكاليف المدنية العصرية ومطالبها ما لا سبيل الى الخلاص منه ، فهم يتكلفون الكثير من أجور المساكن الضخمة وأثمانها ومما تحتاج اليه من أثاث يليق بالمسموع من وجاهتهم والمذكور من غناهم ، وقد كانوا فى بلادهم لا يتكلفون من ذلك شيئا ، وهم لا ينتقلون ولا ينتقل أبناؤهم ونساؤهم من مكان الى آخر إلا فى سيارة فخمة مملوكة أو مستأجرة ، وهم لا يجدون أسباب القدرة على مدافعة العادات العصرية الشائعة كسهر الأندية والملاهى وما يستتبعه من شر لا خير معه ، فقد اعتادوه واعتاده أبناؤهم وأهلوهم ، وكرهوا أن يظهروا مقصرين فى ميدانه فخلعوا أنفسهم وأبناءهم وأهلهم بأصدقاء المرح والليالى الساهرة ، وكل هذه الأساليب من مظاهر الحياة الصاخبة فى المدينة بلاليع تفنى فيها البحار ، فلو أن ثروة أحدهم كانت بحرا لما بقيت منها قطرة وهى تحدر الى هذه البلاليع .

على أن هناك سرا أعظم من هذا السر لا ينكرون أن اقامتهم فى المدينة هى التى أصابتهم به ونرى من اخلاص النصيحة أن نشير اليه بما يكفى لفهمه ، وسنفرض فى هذه الإشارة أن لفلان من كبار الأعيان وأهل النسب الشريف والأصل العريق بضع فتيات أنشأتهن قصور القاهرة البديعة فى أرقى مرتع من مراتع التمدين العصرى ، فهل يعلم فلان هذا أن أحدا من نظرائه فى الريف خطب إحداهن لنفسه أو لابنه ؟ كلا ، فإن حدث شىء من ذلك فهو النزر الذى لا يقاس عليه ، ثم هل يعلم أن أحدا من شبان البيوت الكريمة الأصل فى القاهرة فعل ذلك ؟ كلا ، فإن حدث مرة واحدة فهو الشذوذ الذى لا يطرد معه الحكم .

ولكن فلان هذا ، هل يعلم سبب التعنس الذى أصاب فتياته أو لا يعلمه ؟ مهما يكن فالسبب واضح ، فأهله لايخطبون للزواج من تتبرج وهى فتاة ، ومن تسهر الليل وحدها أو مع الرفيقات المماثلات أو مع الخادم الكبير أو مع سائق السيارة أو مع الأخ الصغير فى الأندية والمسارح ودور اللهو المباح وغير المباح ، أما شبان المدن فيقولون : ما حاجتنا بالفاكهة وهى على أطراف الشجر وبين وخزات الشوك ووراء أسوار الحديقة ما دامت متوفرة فى سوق الخضر.

وانا لنرجو أن تتيقظ ضمائر الأعيان بهـذه الإشارة اليسيرة ، كما نرجو أن يضعوا كل شأنهم فى الميزان ، فهناك الحقيقة التى لا تغيب عنهم ، وهى أنهم يهملون بالإقامة فى المدن مصالحهم فى الريف فتضيع ، وتكلفهم حياة المدن أضعاف ما تكلفهم حياة الريف حين لا يسعفهم نضوب مواردهم بما تتطلبه هذه الحياة فيمدون أيديهم إلى الدين ، ويعجزهم نضوب الموارد مع النفقات المضاعفة عن الوفاء بأقساط الدين فتصبح أملاكهم عرضة للضياع ، وتصبح الدولة حائرة بهم كلما تعلقوا من التسوية العقارية بما يتعلق به الغريق .

ان جلالة الملك المعظم لا يزال يشرف الأعيان فى المناسبات الطيبة بإنعام الرتب والنياشين ، وهو انعام لم يؤهلهم له الا وصف واحد معين هو وصف أنهم أعيان البلاد ، وهذا الإنعام الكريم يحمل فى طيه دليل الرضا والتقدير ، ولكن هل يفهم هؤلاء الأعيان أنهم يحققون فى أنفسهم هـذه الصفة التى لم يزل مديرو الأقاليم يجعلونها مسوغا لتشريفهم بالرتب والنياشين التى يلتمسون الإنعام بها عليهم وكيف لمن تصرفه الإقامة الدائمة فى المـدن عن مصالحه فى الريف ومصالح بلده ومواطنيه أن يعد من الأعيان فى بلده الأصلى أو فى إقليمه ؟

فمن حسن التأدب فى شكر النعمة أن يعودوا إلى بلادهم ليحققوا فى أنفسهم وصف أنهم أعيانها وليتعهدوها من وسائل الاصلاح والخير بما يصبحون به جديرين بما نالوا و بما يطمعون أن ينالوه .

مما يرى ويسمع فى الطريق

فى مطايا المواصلات العامة مضايقات لولا جميل الصبر لاختنق بها أحرار النفوس . وفى طليعة المضايقات ما هو فضلة الكرم والجود مما لا يزال أولياء الأمر فى هذه المطايا يتعهدون به جمهورا أظهر صفاته أنه مسماح كريم ، وفى المنزلة الثانية بعد الطليعة ما هو فضلة الذوق المفقود ، مما لا تزال أشباح فى صور بنى آدم تتعهد به هذا الجمهور نفسه .

أصابتنى الإنفلونزا مرتين فى شهر نوفمبر ، ولابد أن تكون قد أصابت عديدا سواى من أولئك الرفاق الذين يتجاورون على ظهور المطايا العامة فى الصباح وفى المساء كما يتجاور سردين العلب ، ولا أعرف ان هذه الانفلونزا استطاعت أن تنفذ الى رأسى وأنفى وصدرى وجملة مفاصلى إلا من طريق واحدة لا طريق غيرها ، هى هذا التيار من الهواء يدفعه الى الأبدان فراغ الزجاج فى هذه المطايا من السيارات وهذه الركائب من الترام كأنه الرصاص منطلقا من البندقيات .

فهل يرضيكم يأهل المروءة وجمع الفلوس أن تحملنا مطاياكم سالمين غانمين ثم لا تحطنا عن ظهورها قبل أن ترشح الأنوف وتسيل الدموع وتدب الوعكة فى الأجسام ويمشى الداء فى العظام وينشط السعال وتسوء الحال ؟

وأقول إنى لم أخف على نفسى كربا من هذه الكروب كما خفته على طفل كانت أمه تنتظر به إقبال السيارة فى إحدى محطاتها .

كان ذلك فى شهر يوليه حين وقدة الحر وشدة وهجه وتلهبه ، والشمس ترسل ألسنة من النار يتفلق بها الصخر ويذوب تحتها الحديد ، وكانت أم الطفل به حيرى وعليه ولهانة ، وكان الطفل كأنه العصفور فى قفص من الجمر ، وكان المكان مكشوفا وظل كل شىء تحت قدميه .

ولم تشأ المطية المباركة أن تظهر على مد البصر الا بعد أن مضى للطفل وأمه ولغيرهما من المنتظرين نصف ساعة ، كانوا فيها كأهل القيامة فى وقت الحساب يتمنون الانصراف من هذه النار ولو إلى نار أخرى ! . .

ولم أعلم أى شر أصاب هـذا الطفل بعد أن رأيته وهو يذوى فى حر الشمس كما تذوى الورقة الخضراء فى النـار المشتعلة ، ولكنى أعلم أن أقل مما عاناه يصيب مثله بشر عظيم ، الا أن يتداركه الله بلطفه .

وفى الليلة الظلماء ، فى المكان العريان ، فى الشتاء الذى يطعنك برده بأطراف المسامير وأذناب العقارب بعد نصف الليل مثلا ، والجو كأنه بحر أصله فى السماء ومصبه فى الأرض ، فى هذه الليلة وفى هذا المكان وتحت هذا الجو يقف جماعة من الناس فى انتظار السيد السند الذى اسمه الترام أو السيدة الوقورة التى اسمها سيارة كذا أو سيارة كذا ، أفتظنهم مدجلين ينتظرون البـدر ، أفتحسبهم مجدبين يرتقبون الغيث ، أم هـل تعلم أنهم فى موقفهم تتوزع نفوسهم بين الخوف والرجاء حتى يأتيهم الفرج فيفك إسـارهم ؟ كلا : فهؤلاء جميعا أسعد منهم حالا ! إنهم ينتظرون شيئا أروى من المـاء ، وأهدى من بدر السماء ، وأحب من حرية الطلقاء ، ذلك مع الاحترام وحفظ الألقاب ، هو السيد الترام أو السيدة السيارة ! . ثم حسبهم أن يتفضل بالحضور هذا السيد أو هـذه السيدة ، ولا بأس بعد ذلك أن تتخذ النزلة الشعبية مقرها فى الصدور وأن يختار الالتهاب مسكنه فى الرئات أو الكلى أو الأكباد أو المعدات والمصارين أو أية ناحية أخرى من هذه الأجسام المباحة .

فهل يعجبكم يا أصحاب الأرباح ، ويا أهل السماح ، أن تتركونا نهبا لهذا الدلال ؟

هذه سيدة يشهد احتشامها وانسدال ملابسها عليها ، أنها من بيت كريم ، تأخذ بيدها طفلا فى نحو السادسة من عمره ، وتتبعها خادم تحمل طفلا آخر رضيعا ، وهى كغيرها من الناس تنتظر الترام ؟

وهذا شاب لو قست الأرض بطوله لأعطاك منها قصبة زراعية ، ولو قدرت الحائط بعرضه لوفاك منه متر مكعب ، جيـد الثياب ، نظيف الظاهر ، متخم بالذهب وكريم الجواهر ، سمهرى خطار كأنه أطول الرماح ، مشرق نوار كأنه قطعة من فلق الصباح .

بربك لو أنك رأيته هكذا أكنت تصدق أنه جدار من تبن وطين ، أو عمود من رخام وحديد ، أو أن ضميره ميت وهو تابوته ، أو أن قلبه شق وهو نبوته !

لكن الترام أقبل فلم تكد السيدة تخطو لتركبه ومعها طفلها وخادمها حتى دفعها بذراعيه ، ثم مرق من بين الواقفين كأنه فزع جميزة امتلخته ريح عاتية ، فارتمى لا يحس أى مصاب من الهلاك يسقط به فوق من يسقط عليه .

ولم تطل بالناظرين دهشة ما رأوا ، فقد كشف عنه لسانه ، فلمحوا أنه نخلة ليس فيها غير القحوف والأفلاق ، أو أنه هو الانسان الميكانيكى لا يغنيه جمود الصورة عن أدب النفس وشرف الأخلاق .

غير أن الخلق المصرى الكريم ضمين ألا يزيد عدد أمثاله فى مصر على عدد أفراس البحر فى حديقة الحيوانات .

* * *

مرّ بى وأنا سائر فى الطريق شاب متمشيخ ، يلبس قفطانا من الحرير الهفهاف شديد البياض ، ويشد على وسطه حزاما من الحرير المصقول فاقع الصفار ، ويرخى فوقهما جبة من نسج القفطان ولونه ، ويطبق على رأسه عمة لا تعرف نسبها إذا سألتها أن تنتسب إلى قطر من الأقطار أو جنس من الناس ، وإن كان أصدق ما يقال فيها وفى صاحبها أنها جرة مقلوبة تحتها راية منصوبة ، أو أنه هو أبو قردان يحمل فى الطريق طشتا تحته إبريق ! ...

وهب أنك أنت الذى مر بك هذا الشاب فى هذه الصورة ، فهل كنت تستطيع أن تسكت ؟ إننى أنا كذلك وجدت السكوت فى هذا المقام من تراب لا من ذهب ، فلم أبطئ أن ناديته : يا شيخ حموده ، ولم يكذبنى الغيب فاذا هو الشيخ حموده كما ناديته ، ثم لم يلبث إلا أن التفت ليرى من يناديه ، وأقبل يصافحنى وليس به شىء من التحرز الذى يكون بين غير المتعارفين ! ... قلت : كيف الحال يا شيخ حموده ؟

قال : الدنيا حرب ، روسيا ضربت لفلندا ، والرئيس زورفلت طلب من مصر قماشا لقلوع المراكب ! ... صدقنى يابيك أنا رأيت الخيمية بعينى نازلين شغل فى القماش المطلوب ! ... وحكومتنا أمرت بجمع المغازل من أيدى الفلاحين لأن انجلترا اشترطت ألا تشترى القطن من غير مغازله ! ...

قلت : أنت سياسى كبير يا شيخ حموده !

قال : سياسى وأهل علم ومعنى وأعمل شعر على قد الحال ، وكل ده ربانى من غير مدرسة ولا أزهر حتى ولا أليف بيه ! ...

قلت : وما هى الصنعة الشريفة الدائمة ؟

قال : يعنى صنعة أكل العيش ؟ حانوتى يا بيك .

وكانت السماء غائمة ، والمطر مستهلا ، والبرد مقبلا ، فلم أشأ أن يدركنى فزع التشاؤم بجوابه قبل أن أسأله : متى يكون الشتاء . أما هو فاقتحم الأفق بعينيه ثم قال : نعمل إيه ؟ أهو اللى بيقسمه ربنا بنلبسه فى وقته ، ده كله نضله خير أسيادنا اللى زى سعادتك .

وبعد ذلك مضى يشق الهواء بذراعيه ، فقلت لنفسى : إن الآجال بيد الله .

وبعد : فمن الجائز ما دام الأحياء يموتون أن تكون الحانوتية حرفة مألوفة ، ولكن أيكون من الجائز لهذا وأمثاله أن يقيموا الدليل من أنفسهم على الإسراف فى فساد الذوق العام ؟

باقة من الحكم

— رب قارض للأعراض ، وعرضه بين شق المقراض

— فى الغمر تستوى الأعماق .

— صبر الحازم تجلد ، وصبر العاجز تبلد .

— الثقيل جبل ، إذا تلطف سقط .

— المتحيز لا يميز .

— اثنان فى النار دنيا وأخرى : الحاقد والحاسد .

— التاجر فى حانوته بين يدى الرازق ، فلا ينازع ولا ينازق .

شوقى

النشاط الاجتماعى للطالب المصرى

وكيف ينبغى أن يكون

تتجه التربية الحديثة إلى أن تجعل الطفل ثم الصبى ثم الشاب " يعيش " لكى يتعلم . لا أن " يتعلم " كى يعيش . وبكلمة أخرى يجب أن يتجه نشاط المدرسة إلى زيادة الاتصال بين الهيئة الاجتماعية وبين التلميذ أو الطالب . وذلك بأن يشترك فى مسائلها ويدرسها ويتفهم صعوباتها ويدرك أغراضها إلى حدّ ما بالقدر الذى يتفق مع حالته العقلية حتى إذا تخرج كان عضواً عاملا مريداً للخير والرقى فيها .

والهيئة الاجتماعية محتاجة على الدوام إلى الخدمة التى يقوم بها الفرد متطوعاً بجهده متبرعاً بماله . ولا يمكن أن نعوّد هذا الفرد على هذه الأخلاق ما لم نغرسها فيه منذ طفولته حتى تنمو فيه نزعة واتجاها . ولا نستطيع أن نغرسها بالإرشاد والنصيحة أى بالتعليم لأن الأخلاق عادات والعادات تحتاج إلى الممارسة والتمرن . ولذلك يجب إذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا بررة بأوطانهم ينبعثون بروح اجتماعى يسمو إلى الخير، أن نغرس فيهم عادات الخير والبر بأن نبعث فيهم ألوانا من النشاط الاجتماعى الذى يتفق وأعمارهم . وأن نجعل هذا النشاط عادة فيهم تشغل فراغهم أو بعضه .

وقد انبعث طلبتنا بالفعل فى السنين القريبة الماضية إلى ألوان من النشاط الاجتماعى كان لها أثرها المحسوس فى إيجاد بعض المنشآت . وقد يكون هذا الأثر المحسوس محدوداً صغيراً . ولكن هناك أثراً آخر معنوياً أكبر وأعم هو هذا التوجيه الاجتماعى الذى يتجه نحوه الطالب كما يتجه نحوه الجمهور . ذلك أن لكل مشروع دعايته . ولهذه الدعاية قيمة سيكلولوجية فى نفس الداعى — والداعى هنا هو الطالب — وفى نفس الجمهور . وكثيراً ما تكون قيمة هذه الدعاية لأحد المشروعات الخيرية أكبر من قيمة المشروع نفسه . وهى على الدوام دعاية بروح خير وتعاون ونور وإصلاح .

فقبل سنوات ظهر مشروع القرش ينظمه كبار الطلبة كل عام ويجمع صغارهم القروش من أفراد الجمهور على قوارع الطرق وفى الترام والقطار وفى كل مكان آخر يجتمع فيه الجمهور . وقد أنشئت مؤسسة صناعية من المال المجموع من هذه القروش تنتج الطرابيش ويعمل فيها عدد كبير من العمال . وفى كل عام يتجدد المجهود لجمع التبرعات فتثار فى النفوس موعظة وطنية وعبرة اقتصادية هى درس عملى للطالب يمرن فيه على الخدمة الاجتماعية وهى تنبيه للجمهور على اليقظة الاقتصادية .

وقبل سنوات أيضا ظهرت حركة أخرى بين الطلبة هى تعليم الريفيين مدة العطلة الصيفية فإن هذه العطلة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر . وكثير من الطلبة يعيشون فى الريف . ويمكن الطالب بمفرده أو مع آخرين من زملائه أن ينشئوا فصلا أو فصولا لتعليم الريفيين الكبار والصغار معا . وقد سبقنا الهنود إلى هذا التعليم . وسواء أكنا قد أخذناه عنهم أم ابتكرناه فإن مما لا شك فيه أن الفائدة التى تعود على البلاد من هذه الفصول الصيفية كبيرة . وقد تمكن كثير من الطلبة من تعليم الريفيين القراءة والكتابة فى وقت قصير . وشعر المتعلمون بروح البر التى ينبعث بها الطالب المعلم فكان لهذا الشعور أثره الطيب بين فقراء الريف وبين المتيسرين منهم . وحبذا هذه الفصول تنتشر وتنتظم وتؤلف لها المؤلفات الابتدائية حتى تزكو الفكرة ويأخذ تعليم الكبار نصيبه على أيدى الطلبة مدة العطلة الصيفية إلى جنب تعليم الصغار فى المدارس الإلزامية .

ومما يتصل بهذا المجهود ما تقوم به جمعية نهضة القرى التى يتألف أعضاؤها من الطلبة فإنها أيضا تقوم بالتعليم على هذا النحو وتبعث فى الطلبة غيرة قومية تدفعهم إلى بذل المال والجهد فى نشر التعليم .

ومجهود آخر فى الخدمة الاجتماعية يجب أن نلفت اليه الأنظار: هو ما قامت به فرقة الرواد من إيجاد " محلة " صحية اجتماعية فى قسم السيدة زينب بالقاهرة . فان الطلبة قد استأجروا هناك بناء يعالجون فيه أمراض الأطفال ويعلمونهم ويقدمون لهم بعض المتع الرياضية .

هذا هو بعض النشاط الذى يقوم به طلبتنا فى الوقت الحاضر وهو من حيث النوع يعد حسنا يستحق كل اطراء، ولكنه من حيث الكم لا يعد عظيما لأنه محدود. فان "محلة الرواد" فى السيدة زينب كان يجب أن يكون لها ما يضارعها فى جميع أحياء المدن الكبيرة . كما أن حركة التعليم الريفى على أيدى الطلبة ليست منظمة أو متعددة فى جميع القرى أو معظمها . ولكن يجب ألا ننسى أننا مبتدئون فى هذه الحركات واننا نتفع بالدروس الحاضرة للعمل المثمر فى المستقبل .

ولذلك يجب أن نشجع الطلبة على الاندماج فى هذه الجمعيات والدعوة لهذه الحركات . فإننا لا نستطيع أن نكل إلى الحكومة كل إصلاح . إذ يجب على الفرد أن يقوم بقسطه متطوعا فى الاصلاح وأن يمهد العقبات الأولى ثم تتقدم الحكومة للمعاونة والمساهمة . وليس فى أوربا إصلاح إلا وكان للفرد الأسبقية على الحكومة فى بذل المجهود فيه .

وعندنا من طلبة الطب والعلوم من فى وسعهم أن يؤسسوا مستوصفات صغيرة لمعالجة الأمراض المحلية . كما أن منهم من يستطيع إيجاد المبرات المختلفة لتعليم الفقراء أو الترفيه على المحرومين . فان كل هذه الأعمال تحتاج الى المجهود الفردى الذى يستطيعه الطالب قبل أن تحتاج الى المال . ثم يجب ألا ننسى أن الطالب الذى يعمل للبر و يؤدى خدمة اجتماعية ما ينتفع بنشاطه بمثل ما ينتفع به الفقير أو المحروم الذى توجه إليه رحمة هذا البر .لأن الطالب وهو يمارس عملا خيريا تنبعث فى نفسه أشرف الاحساسات وأرق العواطف وهو جدير بأن يراقب نفسه فيصدها عن المفاسد طالما كان يمارس هذا البر . إذ لا يعقل أنه يدعو إلى الخير والشرف والرقى وأن يمارس من الأعمال ما يطالبه بالتضحية ثم فى الوقت نفسه يقع هو فى الرذائل التى تنشأ من الأنانية .لأن الأغلب بل المؤكد أنه يعود فاضلا يلتزم الشرف والاستقامة حين يخدم غيره من أبناء وطنه لأن الاحسان يخدم المحسن والمحسن إليه فى وقت واحد .

— لو طلب الى الناس أن يحذفوا اللغو وفضول القول من كلامهم لكاد السكوت فى مجلسهم يحل محل الكلام ، ولو طلب اليهم أن ينقوا مكاتبهم من تافه الكتب وعقيمها ، وألا يدخروا فيها إلا القيم العبقرى من الأسفار ، لما بقى لهم من كل ألف رف إلا رف .

شوقى

— قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر مروءته ، وشجاعته على قدر أنفته ، وعفته على قدر غيرته .

على بن أبى طالب

الموظف والجمهور

الموظف هو خادم الجمهور . وليس العكس هو الصحيح . وهذه النظرية نسلم بها جميعا ولكنا لانعمل بها . فان الذى يرى أفراد الجمهور حول أحد الموظفين أو وقوفا أمامه وهو ساكن هانئ يشرب قهوته أو يحادث أحد زائريه لايسعه إلا أن يصرح بأن الجمهور هو الذى يخدم الموظف .

وليس شك أن طبقة الموظفين تبرز فى الهيئة الاجتماعية فى مصر أكثر مما تبرز فى أية أمة أخرى . وذلك لأسباب كثيرة منها أن هذه الطبقة كانت منذ بضع مئات من السنين تتألف من الأجانب الذين يسودون البلاد . أو كان معظم الموظفين منها . فكان الاحترام للأجنبى السائد ينتقل إلى الموظف . ومنها أن ميدان الأعمال الحرة ضاق — لأسباب مختلفة — فاتجه مجهود الشباب إلى الوظائف الحكومية وصار الحصول على وظيفة ميزة كبيرة تستحق الاحترام .

ولكن النظر الصادق هو أن الموظف يجب أن يكون خادما للجمهور وعلينا نحن أن ننزع العقيدة السائدة التى تقول بعكس ذلك . ويجب ألا ننزعها من الجمهور فقط بل من الموظف أيضا . لأن كثيرا ما لوحظ على بعض الأعمال الحكومية أن التراخى قد فشا فيها حتى رسخ فى الذهن ان ما يقوم به الفرد فى العمل الحر لا يستطيع أن يقوم به الموظف فى العمل الحكومى . وهذا الاعتقاد يسيء إلى الادارة الحكومية ويزعزع الثقة بمشروعات الحكومة ويفل العزيمة فى الإصلاحات التى تقوم بها الدولة .

ويستطيع الرؤساء فى المصالح والادارات أن يلطفوا من اعتزاز بعض الموظفين بمناصبهم وأن ينزلوهم إلى مستوى الخدمة العامة للجمهور بالنصح والإرشاد بل بالقدوة أيضا . وذلك بالمرور المتوالى على هؤلاء الموظفين ومعاينة المعاملة التى يلقاها الجمهور منهم . فهناك موظفون قد جعلوا مكاتبهم غرفا للزيارة لا ينقطع عنها الضيوف يفدون اليهم ويتسامرون ويشربون القهوة أو الشاى . وكلما خرج ضيف جاء آخر . وهذه المسامرة تشغل الموظف عن أداء واجباته نحو الجمهور الذى يسخط على هذه الحال وعلى تأخير أعماله لازدحام المكتب بأناس لا شأن لهم غير الحديث والمؤانسة .

ثم هناك ذلك الموظف الآخر الذى يترك بيته من غير إفطار فاذا وصل إلى مكتبه استحال هذا المكتب إلى مائدة طعام . فهنا طبق الفول . و إلى جانبه طبق آخر للسلطة وهنا الملاحة وكوب الماء والخبز والبصل . وكل هذا يوضع على المائدة كأن هذا الموظف لا يذكر أن للدولة التى يؤدى عملها كرامة وأن موظفا فى بنك أو متجر حر لا يستطيع بل لا يخطر فى باله أن يضع مكتبه فى هذا الوضع الزرى . ثم هو قد يترك أحد أفراد الجمهور ينتظره حتى ينتهى من فطوره . بل لعل هناك بعد الفطور فنجان من القهوة ثم تشعل السجارة وتقرأ الجريدة. ويجرى كل هذا والجمهور ينتظر . ولسنا نقول إننا ننقل صورة عامة للوظفين بهذا الذى ذكرنا . ولكنا لا نشك فى أن منهم عددا نرجو أن يكون أقلية لا تتحرج من أن تجعل من المكتب غرفة للزائرين ومائدة للطعام .

وقد عمد بعض الرؤساء والمديرين الى ايجاد " كانتين " للوظفين يقصدون اليه اذا احتاجوا الى طعام أو شراب أو أى منعش آخر . فالموظف يسمح له بفترة عشر دقائق يقصد فيها الى هذا الكانتين حيث يجد ما ينعشه ويجدد قواه من الراحة والطعام والشراب ثم يعود الى مكتبه دون أن يدخل هذا المكتب أى شيء من الأشربة أوالأطعمة . ويحسن بجميع الرؤساء المديرين اذا عمموا هذه الطريقة فى مكاتبهم ومصالحهم . وهم لو فعلوا لرأوا فى سرعة الانجاز وراحة الجمهور بل راحة الموظفين أنفسهم ما يبرر المجهود فى انشاء مثل هذا الكانتين الذى يرغب الموظف فى الخروج من مكتبه والترويح عن نفسه . ولهذا الترويح قيمته العظيمة فى تجديد القوى وبالتالى فى انجاز العمل . وقد اتبع كثير من المصانع هذه الطريقة فى الترويح عن عمالهم فوجدوا الفائدة المحققة فى زيادة انتاجهم .

ونستطيع أن نزيد على ذلك بأن نقترح بأن يفصل الجمهور على الدوام من الموظفين وذلك بأن تقام عقبة مادية تمنع الموظف من استضافة الضيوف . فإن موظف مكاتب البريد مثلا لا يجاز له أن يقعد زائره إلى جنبه . لأنه ليس فى مكتبه كرسى زائد . ثم هو منفصل من الجمهور بسياج من خشب أو نحاس فلم لا يعمم هذا النظام الذى نرى مثله فى جميع البنوك على سائر المصالح أو معظمها حتى تنقطع عادة الزيارة للموظفين فى مكاتبهم ؟

ولكن مع ذلك يجب على الرؤساء الذين يجدون هناك موانع لايجاد هذا " الكانتين " الذى اشرنا إليه أن يكرروا المرور على الموظفين و يمنعوهم من تناول فطورهم فى مكاتبهم وأن يمنعوا الزائرين من غشيان هذه المكاتب للسامرة وتعطيل الموظف عن أداء واجباته نحو الجمهور.

مدارس الخدمة الاجتماعية

بمصر

مدرسة القاهرة :

مصر حديثة العهد بهذا النوع من المدارس التى ترمى الى إثارة اهتمام الجمهور بالمسائل الاجتماعية عن طريق الدراسات العلمية المنظمة ، وإعداد جيل يضطلع بأعباء الاصلاح الاجتماعى ، وتحسين الحالة العامة للشعب برفع مستواه الفكرى والمادى .

والواقع أنه كلما تعقدت المشكلات الاجتماعية فى بلد واستفحل أمرها ، وتعذر حصرها ، ظهرت الحاجة الى "النطاسيين الاجتماعيين" من ذوى المؤهلات الخاصة ، يشخصون الداء ، ويصفون الدواء ، ويقومون بتنفيذ المشروعات الجسيمة ، وإقامة أسس قوية للنشاط الاجتماعى ، وتوجيه الأذهان الى الحقائق والمعلومات التى تتعلق بوسائل الخدمة الاجتماعية .

وقد أقدمت " الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية " على تأسيس مدرسة نموذجية بالقاهرة ، بقصد تخريج عدد من الاخصائيين والاخصائيات المدربين تدريبا فنيا كاملا للاشتغال بأعمال الخدمة الاجتماعية كمهنة ، وإعداد متطوعين ومتطوعات ممن يأنسون فى أنفسهم ميلا للقيام بالأعمال الاجتماعية ، ومعاونة الدائبين بالعمل فى المنشآت الخيرية على تفهم أحدث النظريات والطرق العلمية فى الميدان الذى يعملون فيه ، وإثارة اهتمام الرأى العام بأعمال الخدمة الاجتماعية ووسائل تحقيقها .

افتتحت أولى مدارس الخدمة الاجتماعية فى سنة ١٩٣٧ بالقاهرة ، وهى على قسمين : الأول ليلى للذكور ، والثانى نهارى للإناث ، واشترط فى طالب الالتحاق أن يكون له ميل للقيام بأعمال الخدمة الاجتماعية ، وأن يكون حائزا على شهادة إتمام الدراسة الثانوية . وجعلت

رسوم الدراسة مائة قرش عن كل علم يدرسه الطالب من العلوم الستة المقررة للعام الدراسى ؛ أما الطلبة الذين يختارون علوما خاصة فيدفع كل منهم مائة قرش عن كل علم يدرسه ، ويدفع عن مدة التدريب العملى جنيهين مصريين فى السنة الثالثة التى هى بمثابة دراسة عملية فى المؤسسات الخيرية والاجتماعية .

وتمنح المدرسة شهادة " دبلوم الخدمة الاجتماعية " . وتستغرق الدراسة النظرية للحصول على هذه الشهادة سنتين تقسم كل منهما الى ثلاث فترات دراسية ، مدة كل فترة ثلاثة أشهر ، وتبدأ الفترة الأولى من شهر اكتوبر من كل عام ، ويعقد فى نهاية كل فترة امتحان تحريرى وشفوى فى العلوم التى تدرس خلالها .

ويقوم الطالب علاوة على دراسته بدراسة عملية تحت إشراف المدرسة خلال شهر سبتمبر الى شهر مارس بعد انتهاء إجازة السنة الثانية مباشرة .

ويتقدم الطالب فى نهاية مدة التدريب العملى للامتحان بحث عن مشكلة من المشاكل الاجتماعية فى مصر ، ويعتبر الطالب ناجحا اذا حصل على ستين فى المائة على الأقل من النهاية العظمى لكل مادة .

ويتكون منهاج الدراسة من عدة مواد أهمها : دراسات فى علم النفس ، وعلم الصحة ، وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد ، ثم المسائل الريفية ، وطرق الخدمة الاجتماعية ، ومشكلات العمال ، وأعمال الأندية ، والعناية بالأطفال المتشردين والمهملين ، وتتناول الدراسة العملية القيام بأبحاث خاصة فى المؤسسات الاجتماعية مع إعداد رسالة تتضمن نتيجة هذه الأبحاث .

وتتناول الدراسة فى القسم النهارى — وهو مخصص للتطوعات من السيدات والآنسات اللواتى يقع على عاتقهن أعظم جانب من أعمال الخدمة الاجتماعية — محاضرات مختلفة تتعلق بالمشكلات الخاصة بالخدمة الاجتماعية ، والعلاقات العائلية ، والأسس التى تنهض عليها هذه العلاقات ، وتنظيم طرق الوقاية من الأمراض ، وإرشاد الناشئين لكل ما يتعلق بالصحة وتثقيف الأطفال ، وتوجيههم وجهات صحيحة .

وقد جعلت الرسوم المدرسية للقسم النهارى ٢٥٠ قرشا وتشمل الدراسة الكاملة ، واشترط ألا يقل سن الطالبة عن ١٧ سنة ، وتراعى المقدرة العملية فى اختيار الطالبات ، وتمنح المدرسة شهادات للأتى يتممن الدراسة الكاملة بنجاح .

لم يمض عامان على افتتاح مدرسة الخدمة الاجتماعية حتى قدر الرأى العام الجهود التى يبذلها القائمون بأمرها ، فى شتى نواحى الاصلاح الاجتماعى ، وزاد من شأن المدرسة أن انتخبت عضوا فى اتحاد مدارس الخدمة الاجتماعية الدولى ، وأن وافقت وزارة المعارف على تكوين لجنة للامتحان النهائى للطلاب ، وقررت منح المدرسة إعانة مالية سنوية .

وكان لتشجيع الحكومة والهيئات الخاصة أثره العميق فى مضاعفة مجهود المدرسة ونشاطها ، فان نشاطها لم يصبح قاصرا على طلابها وحدهم ، بل إن هناك أفرادا وجماعات فى مصر وفى الخارج ، يقصدون المدرسة للحصول على إرشادات ومعلومات و بيانات دقيقة فى ميدان الخدمة الاجتماعية .

و بالاضافة الى التثقيف الذهنى والى النفع الشخصى الذى يحصل عليه الطالب فانه كثيرا ما يعمد فى معالجة مشاكله الشخصية والعائلية ومساعدة من يتصلون به ، على ضوء الدراسات العلمية المنظمة التى يتلقاها بين جدران المدرسة ، مثال ذلك : أن أحد الطلاب لفت نظره كثرة الإصابات بالحمى التيفودية فى المنطقة التى يعيش بها ، فبحث العوامل التى أدت الى انتشار المرض وأرجعها الى وجود فضلات ضارة يستعملها الفلاحون لتحسين مزارعهم ، ولقد قام هذا الطالب بالقاء عدة دروس فى المدارس الابتدائية وحذر طلابها من أكل الخضراوات النيئة من الحقول ، ثم واجه السلطات المسئولة باكتشافه وحثها على الاهتمام بالموضوع مما كان له أثر ظاهر فى تحسين الحالة الصحية ، فوجهت العناية لمنع استعمال هذه الفضلات ، وهناك طالب آخر نجح فى اقناع أهل امرأة من قريته مصابة بداء السل وفدت على القاهرة للعلاج بوجوب إبقائها فى المصحة وعدم عودتها الى القرية قبل أن تنال الشفاء حتى لاينتشر المرض فى البلدة . وقد تمكن بعد صعوبات جسيمة من ابقائها بالمستشفى بالقاهرة ، كما تمكن طالب ثالث من النجاح فى معاملة أخيه الشاذ وتوجيهه التوجيه الصحيح نتيجة دراسته للحالات الشاذة والمشكلة بالمدرسة .

و يوجد خمسة من الطلاب استباعوا الحصول على وظائف فى ميدان الخدمة الاجتماعية وشغلت إحدى الطالبات وظيفة زائرة صحية فى وزارة المعارف . كما تشغل طالبة أخرى وظيفة سكرتيرة قسم الاخصائيين الاجتماعيين . و يشتغل الآن ثلاثة من الطلاب فى مؤسسة الزفاف الملكى التى أنشأتها محافظة القاهرة لإيواء أطفال الشوارع .

وسوف تبرز القيمة العملية لخريجى مدارس الخدمة الاجتماعية عند ما تنمو المشروعات الاجتماعية وتكثر المؤسسات الخيرية فتحتاج الى استخدام اخصائيين من ذوى المؤهلات والكفايات الممتازة ليقودوا الحياة الاجتماعية الى أنبل الأغراض والوصول بها الى أسمى الغايات .

مدرسة الاسكندرية :

تأسست مدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٣٦ تحت رعاية اتحاد المشتغلين بالخدمة الاجتماعية بالاسكندرية واتحاد خريجات الجامعات ، وتنحصر أغراضها فى :

(١) تهيئة فريق ملم بالمعلومات التى تؤهله للعمل فى المنشآت الاجتماعية والخيرية الموجودة والتى ستوجد فيما بعد .

(٢) ارشاد الذين يرغبون فى مساعدة إخوانهم ولكنهم لا يستطيعون القيام بذلك بسبب عدم توافر الخبرة والتشجيع الكافى .

(٣) إثارة اهتمام الجمهور بطريق الخدمة الاجتماعية وأنظمة المنشآت الاجتماعية الملائمة لحاجات البلاد .

والمدرسة ذات صبغة دولية ومحايدة من الناحيتين السياسية والدينية ولا ترمى لأى غرض تجارى .

وتحصل المدرسة على مواردها مما يدفعه الطلبة وهو مبلغ ستة جنيهات سنويا عن كل طالب ، ومما يجود به أعضاء لجنة رعاية المدرسة ، ومن الاعانات التى تدفعها الحكومة .

وتدير المدرسة لجنة تنفيذية مكونة من مندوبين عن لجنة رعاية المدرسة ومن بعض أساتذتها الذين يكرسون جزءا من وقتهم وجهودهم لخدمتها . وهؤلاء الأساتذة حاصلون على درجات جامعية أو من خريجى مدارس الخدمة الاجتماعية أو من كبار الاخصائيين .

والمدرسة تحت رعاية لجنة تجمع بعض الشخصيات البارزة بالاسكندرية من الجاليات المختلفة الذين يهتمون بالأعمال الاجتماعية . والغرض من هذه اللجنة نشر وتشجيع فكرة الخدمة الاجتماعية المنظمة بين الشعب ، وتسهيل تشغيل المتخرجين من المدرسة .

وقد تطوعت لإدارة المدرسة أثناء السنتين الأولين مدام فيستر وتديرها الآن مدموازيل أجيون .

وقد بلغ عدد طلبة المدرسة النظاميين عند إنشائها سنة ١٩٣٦ المتداخلة فى سنة ١٩٣٧ اثنى عشر طالبا وظل عددهم يتزايد حتى بلغ الآن نحو أربعين طالبا وطالبة بينما يتراوح عدد الطلبة المستجدين بين ٥٠ و ٦٠ كل سنة .

وتنقسم المدرسة الى قسمين : احدهما تلقى الدروس فيه باللغة العربية ، والآخر تلقى الدروس فيه باللغتين الانجليزية والفرنسية .

والتعليم بالمدرسة مشترك ويشترط للالتحاق بها وجوب حصول الطالب أو الطالبة على شهادة البكالوريا أو ما يعادلها وألا يقل سنه عن ثمانية عشر عاما .

وتلقى الدروس مساء ما بين الساعة الخامسة والثامنة يوميا ماعدا أيام الجمعة والأحد .

وتقبل المدرسة مستمعين ومستمعات ولكنهم لايقبلون امتحانات المدرسة ولا يقبلون فى السنة التمرينية ولاينالون أية شهادة ، ويدفع المستمعون مبلغ ٢٠ قرشا شهريا عن كل مادة .

ومدة الدراسة سنتان تليهما سنة تمرينية فى المنشآت الاجتماعية فى مصر أو فى الخارج ، وبعد أن يؤدى الطالب الامتحانات الضرورية ويقدم بحثا مستمدا من تجاربه العملية ، ينال دبلوم مدرسة الخدمة الاجتماعية .

ومواد الدراسة هى : مبادئ علم الاجتماع ، علم النفس ، الاقتصاد السياسى ، طرق الخدمة الاجتماعية ، التشريع الاجتماعى ، المشاكل القروية ، التربية العملية ، تنظيم أوقات الفراغ ، الصحة والاسعاف الأولى ، التشريح ووظائف الأعضاء ، اللغة الفرنسية .

وبفضل انضمام هذه المدرسة الى اللجنة الدولية لمدارس الخدمة الاجتماعية بناء على دعوة منها ، وهى التى تجمع معظم مدارس الخدمة الاجتماعية فى العالم ، قد أمكن لهذه المدرسة أن تحصل لتلميذاتها على فرص للتمرين فى بلجيكا وسويسرا وفرنسا وانجلترا .

وتقترح المدرسة على طلبتها القيام بدراسات للتخصص وأهم هذه الدراسات هى : ممرضات وزائرات صحيات واجتماعيات ومساعدات بالمستشفيات ، أعمال اجتماعية بالريف ، أعمال اجتماعية بالمصانع ، أعمال وقائية للأخلاق ، أندية ومعسكرات ومصايف للأطفال ، الأعمال الادارية فى الجمعيات ، الأعمال المتعلقة بالتربية فى الجمعيات ، تربية الأطفال الشواذ ، والأطفال المجرمين .

أسئلة وأجوبة

الحياء وتفسيره

(الاسماعيلية — ع . خ .) ماهو تعليل الحياء وكيف يمكن معالجته ؟

المجلة — الحياء نوع من الخوف . وهو فى الشاب يعزى الى قسوة الأب فى الطفوله . فينشأ الطفل وهو يخاف الرجال لأن الصورة المرسومة لهم فى نفسه منذ طفولته هى صورة أبيه حين كان يقسو عليه . فكلما لقى وجها غريبا — وهو فى الأغلب وجه رجل — شعر بحياء يقارب القشعريرة . وهذا الشعور يفسد شخصيته وينقص كفاءته . وهو حين يعرف الأصل لحيائه فإنه فى الأغلب يقلع عنه . ولكنه مع ذلك يحتاج الى المرانة ولو كان ذلك بأن يتعرض لأحد السابلة ويسأله عن الوقت أو الشارع أو نحو ذلك .

الزوجة اللائقة

(ديروط — ص.د) تزوجت مرتين ولكنى لم أجد الهناءة فى الحياة الزوجية فكيف أوفق الى الزوجة الصالحة ؟

المجلة — من البعيد أن يكون الخطأ من ناحية الزوجتين . والأرجح أنك أنت المخطئ وأن لك أسلوبا فى المعاشرة لا يتفق مع الهناءة الزوجية . وقد قال جو نسون الأديب الانجليزى عن صديق طلق زوجته وتزوج أخرى : "إن هذا الزواج الثانى هو انتصار الأمل على الخبرة" .

والرجل الذى لا يتفق مع زوجته ويسكن الى عشرتها قد يكون نفوره راجعا الى مزاجه وأخلاقه . وهو ربما يعامل أصدقاءه ومعارفه بمثل هذا النفور . فانظر فى نفسك فلعل الخطأ فيك أنت وليس فى الزوجات .

إنشاء جمعية تعاونية

(المنيا — ر — ط) كيف يمكن انشاء جمعية تعاونية ، وما هى الاجراءات التى يجب أن تتخذ لذلك .

المجلة — عليك أن تبث فكرة التعاون قبل كل شيء فى نفر من أصدقائك أصحاب المصالح ، زراعا كانوا أو تجارا أو غير ذلك بحسب الغرض الذى تنوى أن تنشئ لخدمته هذه الجمعية التعاونية ، والجمعيات أنواع ، فمنها الزراعية ومنها المنزلية ومنها المالية وهكذا .

واختر بعد ذلك عددا منهم تجعلهم لجنة تأسيسية ، وينبغى ألا يقل عدد أعضاء هذه اللجنة عن عشرة ، ثم قدروا رأس مال ابتدائى واكتتبوا به مع العلم بأن ثمن السهم الواحد لا يجوز أن يقل عن خمسين قرشا ولا يزيد على جنيهين .

فاذا ما جمعتم رأس المال فأودعوه أحد البنوك أو خزانة المديرية ، ثم اخطروا بهذه الاجراءات مفتش التعاون فى منطقتكم ، وسيقوم لكم بعد ذلك ببقية الاجراءات حتى تصلوا إلى تسجيل الجمعية رسميا والنشر عنها فى الوقائع المصرية حسب القانون وتسلم دفاترها ، وسيرسل لكم مفتشو التعاون ومنظموه ومراجعو حساباته أساليب العمل وأنظمة القروض وما إلى ذلك .

المناقرة فى البيت

(السنطة — ث . ج) ما هو الأصل لمرض المناقرة التى تصاب به الزوجة وكيف تعالج منها ؟

المجلة — المناقرة قد تأتى من الزوج كما تأتى من الزوجة . ولكنها تكثر فى الزوجة وسببها الضعف والرغبة فى استشعار السيطرة على الشخص الآخر . وعلاجها يجب أن يتجه نحو فصل السلطات بين الزوجين حتى لا يتدخل أحدهما فى عمل الآخر . والبيت شركة . ولا تقوم شركة بين اثنين إلا باختصاص كل واحد من المشتركين بعمل ما . كما يجب الاقناع والاقتناع بأن المناقرة لم تقم قط مقام الحجة . ولذلك فهى مجهود ضائع .

أحسن الوقت للتعلم

(الجيزة — ف . س) ماهو أحسن سنى العمر للتعلم ؟

المجلة — يقول الأستاذ وين جونز بجامعة ليدز إن الانسان يكون على أقدره فى التعلم حوالى العشرين ، وتستمر هـذه القدرة على الزيادة إلى سن الثانيـة والعشرين ، ثم تبقى على حال لا تغير إلى الخامسة والثلاثين ، ولكن النقص لا يكاد يؤبه إلى سن الخمسين ، ثم يبدأ النقص قليلا قليلا الى السبعين والثمانين حين يكون عظيما .

ولكن تناقص القدرة على التعلم يجب أن تكون حافزا لامثبطا عن التعلم ، وفى الأقطار المتمدنة يطلب العلم الكهول والشيوخ فى الخمسين والستين .

صناعة الفنادق

(محلة روح — ر . ج) لماذا نجد أن صناعة الفنادق فى مصر ليست فى أيد مصرية ، وهل هى شاقة أو تحتاج الى تعليم خاص ؟

المجلة — كثير من الأمم المتمدنة ينشئ المدارس لتعليم الطلبة كيف يخدمون فى الفنادق أو يديرونها . ومعظم الفنادق الكبيرة فى مصر يديرها الأجانب لأن أغلب زبائنها من السياحين الذين يحتاجون الى من يتفاهم معهم بلغاتهم ، وأعظم مايحتاج اليه الفندق والمطعم هو النظافة بل النصاعة ثم تعلم اللغات . ولكن لابد من الخدمة السابقة لاكتساب المرانة اللازمة للادارة الحسنة ولا نحتاج الى القول بان المطعم يشترط فى ادارته القدرة على تدبير الطعام الحسن ودرس اقتصادياته وهذا الدرس لا يتم بغير التمرين .

التجارة والنجاح فيها

(البلينا — ا . ط) ماهى الشروط اللازمة للنجاح فى التجارة ؟

المجلة — لعل أهمها هو الأمانة . فإن المثـل الانجليزى التجارى يقول " الأمانة خير الخطط " ولكن الحقيقة أنها هى الخطة الوحيدة التى تؤدى الى النجاح فى التجارة وغير التجارة . ففى التجارة يجب أن نبعث الثقة فى المشترى . وهذه الثقة لن تكون إلا بأن يشعر بأن البائع أمين لايغش . ثم يلى ذلك الخبرة . ولعل أفضل الطرق لإيجاد الخبرة أن نبدأ بالتجارة الصغيرة ثم نكبر بالتدرج . وأفدح الخسائر التى تصيب التجار تأتى من قلة الخـبرة ومن المغامرة فيما يجهلون من الأعمال .

الزراعة المصرية

(الاسكندرية — م ١٠) المشهور أن التربة المصرية من أخصب الأرض فى العالم فهل الغلة تناسب مع هـذه الخصوبة وهل نحن نجنى من أرضنا أكثر مما تجنيه الأمم الأخرى من أرضها ؟

المجلة — لا نكران فى خصوبة التربة المصرية . ولكن هـذه الخصوبة قد نقصت بعض الشيء لارتشاح المياه التحتية الى أعلى .

وهذه المياه ملحة تعطل النمو أو تؤخره .

ولكن الزارع المصرى لا يستغل أرضـه الى الحد الممكن لأنه يجهل بعض الصناعات الزراعية . فان تربية الدجاج والماشية وصنع الجبن — كل هـذه صناعات زراعية يمارسها الزارع الدنمركى أو الهولندى أو الالمانى — وهو حين يمارسها يزيد دخله ويخصب أرضه . وهذا هو ما ينقصنا فى مصر .

الثقـــة

— من أحسن الثقة بنفسه فليثق بعدها بمن يشاء .

— العاقل لا يثق حتى يجرب ، ولا يتهم حتى يتبين .

— الثقة مراتب، فلا ترقع لعليا مراتبها الا الشريك فى المرء المعين على الضر ، الأمين على السر .

— ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر .

— الثقة وثاق الأحرار .

— من نقض موثقه ، نقض عنه الثقه .

شوقى